١

المصطفون الأخيار

مشارق الأنوار القدسية
في
سيرة الخضر الزكية

تأليف
محمود محمد أحمد شوالي
المعروف بـ الطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عبدا من عبادنا آتيناه رحمة
من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾
الكهف/٦٥

وقال الله عز وجل للخضر عليه السلام :

« لقد أحببتك قبل أن أخلقك ...
ولقد قدستك حين خلقتك ...
ولقد أحببتك بعدما خلقتك ... »

عن وهب بن منبه فى المبتدأ
(الاصابة ١/٤٣٠)

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله[1] .. الأول الآخر الظاهر الباطن ، المحيط بكل شيء ، الذى جلت قدرته عن الحد ، وصفاته عن القيد ، الذى قدر كل موجود على وفق علمه منه قبل بروزه ، فأفاض عليه نعمه وأظهر فيه من خفىّ كنوزه ، فأشرقت أرض الفناء بنور البقاء ، وازدهرت الظلماء بوجه البهاء ، فالكل حامد متوّله ، ساجد متدلّه ، عابد خاشع متذلل خانع .

سبحانه بدا له فيه به منه ، واحتجب بنوره عنه فانمحق العدم وانجلى القدم . فهو الشاهد المشهود ، الواجد الموجود ، الكامل الذى لا انتهاء لكماله ، والجميل الذى لاتشبيه لجماله ، الجليل الذى لانهاية لجلاله ، أوجد الكل لا لعلة ، وكساهم منه بأبهى حُلّه .

---

(١) هذه إفتتاحية كتاب الحق فى الحق والخلق لسيدى وشيخى/ محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه إفتتحت بها تيمنا وتبركا .

والصلاة والسلام على فجر الأبديّة ، وشمس الأحديّة ، كل الكمال الممكن فى الظهور والبطون السيد السند ، القوى الأمين ، الحق الذى قامت به الحجة على الخلق ، الصدق الربانى ، والسر الذاتى والنفس الرحمانى والروح الرحيمى ، روح المراتب ونفس المواهب ، التوحيد الخالص المحض ، فرقان إتحاد قاب قوسين ، ومجمع افتراق أو أدنى ، الشامل للعين والغين ، وعلى آله الذين تحققوا به حقا وخلقا ، واتبعوه صدقا ، فنتجت لهم محبة الله عز وجل : ﴿ **يحبهم ويحبونه**﴾(١)فمازلّ لهم قدم وماضلّ ، وعلى سائر عباد الله الصالحين .

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم(٢) .

أما بعد ....

فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغنى الحميد ، محمود بن محمد بن

---

(١) المائدة/ ٥٤ .

(٢) هذه الصيغة تسمى بصلاة الفاتح ظهر بها ابتداءً الإمام على رضى الله عنه فى مطلع احدى خطبه نهج البلاغة ثم تلاه القطب الكبير سيدى محمد البكرى رضى الله عنه بعد سؤاله المولى عن صيغة فيها سر جميع الصلوات فرأى هذه الصلاة مكتوبة بقلم القدرة فى صحيفة نورانية وأجمع كثير من العارفين على أن بها من الأسرار والعجائب ماتتحير فيه الألباب . والتزمها القطب الأكبر سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه بإدن من النبى ﷺ ودكر أنها سر الطريق وأنها لاتترك مى الدنوب شاذة ولا فاذة . بعية المستفيد (٢٧٨ - ٢٨٤) أفضل الصلوات على سيد السادات (١٣٧ - ١٤٤)

أحمد شوالى المعروف بالطيبّ « **ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** »(١)

﴿ **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾(٢)

﴿ **سبحانك لانحصى ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**﴾(٣)

اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، وأسألك اللهم توفيقا وسداداً فى تلمس آثار تلك الشخصية(٤) الجليلة الفريدة التى أشبهت البحر الخضم الذى لاساحل له فلقد تحققت تلك النفس الزكية بما أولاها الحق عز وجل فاعتمدت ستر حالها واختارت العزلة عن بنى جنسها .

تلكم الشخصية المتفردة هى لعبد الله الذى آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما ولذا جاء الخضر عليه السلام بالعجب فى عامة أمره وصار مثالا يحتذى بين خلقه ، وبرهانا لمن يريد الفرار لحضرة ربه عز وجل . وكان ظهور سيدنا الخضر عليه السلام على مسرح الأحداث بقَدْر ، كما الومضة تضىء للسالكين وترشد المسترشدين ،

---

(١) البقرة ٢٨٦

(٢) البقرة ٣٢

(٣) مسلم كتاب الصلاة/ ٢٢٢ ، أبو داود كتاب الصلاة/ ١٤٨ ، النسائى قيام الليل/ ٥١

(٤) هى شخصية سيدنا الخضر عليه السلام .

لكنها لا تتيح للسالك المسترشد أن يعرف من هى ، وكيف هى ، فَعَزَّ فهم كنهها أو ادراك سرها وحال خفاء حالها دون سبر أغوارها . وَأعضلت قضاياها فحول العلماء الدارسين لها .

وصدق فيه عليه السلام قول نبينا الأعظم ﷺ : « **إن لله عباداً اختصهم بحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله** »(١) فهم وإن سقطوا من أعين الخلق لكنهم فى عين عناية الملك الحق ، لاكتفائهم به جل شأنه عما سواه وعدم شهودهم فى الوجود إلا إياه فظهر لهم محركا مسكنا وبهم متلطفا متودداً فنالوا الهدى واستحقوا الرضى .

والخضر عليه السلام واسطه العقد لهؤلاء النفر المصطفين الأخيار وكيف لا يكون كذلك وقد صدرت له شهادة الصدق ممهورة بثناء الملك الحق « **عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** »(٢) فبدا المقام وعز المرام وحظى الخضر بكرامة ربه الملك العلام .

وكان الذى شد عزمى لهذا التأليف أنى شغلت مدة بجمع سيرته عليه السلام فرأيته بمنامى فى ساحة قريتنا وكأنه يقِّطع بسيفه فى سمكة عظيمة قد ملأت ساحة واسعة ، وبينما أنظر إلى صنيعه إذ بهذه السمكة تدب فيها الحياة وتقوم على قائمتها تطلب من أمامها ، ففزعت مع الفازعين ، وهرولت مسرعا إلى دار جدتى ، وإذ بالرجل

---

(١) أخرجه الطبرانى عن ابن عمر ورمز السيوطى إلى حسنه .

(٢) الكهف/ ٦٥

الذى كان يذبحها يسبقنى إلى دارنا والسمكة فى إثرنا فأغلقت الباب قبل دخولها ووقفت خلفه مناديا على الرجل أن يكون بجانبى خلف الباب حتى لا تدهمنا السمكة لكن ندائى عليه ذهب أدراج الرياح ، حتى إذا اطمئننت أن السمكة كفت عن طلبنا دخلت متشكيًا منه مغضبا فوجدت شيخاً أزهرياً جالساً فجعلت أتشكى له من صنيع الرجل فإذا به يقول لى : أنت لسه معرفتش مين ده ؟ هذا هو الخضر عليه السلام . فالتفت إليه إذا به يرتدى جلباباً أخضر وعمامة خضراء فتعلقت به محتضنا فأخذنى بين يديه فقبلته من فمه الشريف المبارك عليه السلام وحينئذ قلت لنفسى لا يجب أن أدع الفرصة تفوتنى فصرت أمصُّ من ريقه الشريف عليه السلام .

فكانت هذه الرؤيا حافزاً عظيماً لمواصلة دراسة سيرته عليه السلام ، وبمثابة إذن منه لى بالكتابة عنه ، وكنت كلما سرت فى البحث يكرمنى الله عز وجل به مما شجعنى أكثر على المضى قدما إلى حيث قدر الله عز وجل المنتهى من سيرته عليه السلام .

ويطيب لى وأنا أكتب فى سيرته أن أتمثل قول القائل :

ياسادتى ياأفضل السادات لأزينن بذكركم أوقاتى
ياخير صحب محمد من بعده ياأفضل الأحياء والأموات

وفى هذا المؤلف سيجد القارىء نفسه أمام سبيلين أولهما ينطلق بالقارىء مقرراً الحقائق الثابته ، ومثبتاً خلاصة ماتوصلت إليه بعد المقارنة والمقابلة .

وأما ثانيهما : فجعلته حاشية لما تقرر وتفصيلا لما أوجز وإبانة عن مسائل الخلاف .

ولقد سلكت فيه مسلك أهل الحديث الأثبات رضى الله عنهم فقمت بـ :

١ – تخريج غالب الأحاديث الواردة بالكتاب .
٢ – عمل ترجمة موجزة لمعظم رجال الحديث .
٣ – عمل ترجمة لغالب من ورد ذكره من غير رجال السند .
٤ – تخريج الآيات الواردة بالكتاب .
٥ – بيان المبهم من اللغة وغيرها .

وقد قدمت لأبواب الكتاب المختلفة بباب ، خصصته لبيان عقيدة المؤلف التى هى عقيدة أهل السنة والجماعة ، هذا وإن كان هناك من توفيق وسداد فمن الله عز وجل ﴿ **وما توفيقى إلا بالله**﴾ . وإن كان هناك من خطأ وتقصير فمرده إلىّ والكمال لله عز وجل وحده . وأسأل الله تعالى أن يفتح به أعينا عمياً وآذانا صما وقلوبا غلفا ، وأن يجعله باب مزيد للمستزيدين ، وفيض أنس للمستأنسين ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وتثقيلا للموازين وتثبيتا لأقدامنا يوم الدين بجاه سيد المرسلين وشفيع المذنبين صلوات الله وسلامه عليه أبد الآبدين ودهر الداهرين .

والحمد لله أولاً وأخراً ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

محمود بن محمد بن أحمد شوالى
المعروف بـ
محمود الطيِّب
الأهرام فى ١٨ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ
١٧ ديسمبر ١٩٨٩ م

عقيدة المؤلف(١)

إعلم ياأخى أن القوم أجمعوا على أن الله تعالى إله واحد لا ثانى له ، منزه عن الصاحبة والولد ، مالك لاشريك له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده ، بل كل موجود مفتقر إليه فى وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بذاته لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق مستمر ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر فيقدر له المكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء ، مقدس عن الجهة والأقطار ، مرئى بالقلوب والأبصار ، استوى تعالى على عرشه كما قاله ، وعلى المعنى الذى أراده ، كما أن العرش وما حواه به استوى ، له الآخرة والأولى ، ليس له مثل معقول ، ولا دلت عليه العقول ، لا يحده زمان ، ولا يقله مكان ، وهو الآن على ماعليه كان ، خلق المتمكن والمكان ، وأنشأ الزمان وقال : أنا الواحد الحى الذى لا يؤوده حفظ المخلوقات ولا يرجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات ، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها ، أو تكون قبله أو يكون قبلها ، بل يقال : كان الله ولا شيء معه ، لأن القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه ، فلا نطلق عليه تعالى مالم يطلقه على نفسه فإنه أطلق على نفسه : الأول والآخر ، لا القبل والبعد .

---

(١)هذه الأسطر بلسان الإمام الكامل عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى ، أثبتها بيراعة كى يحسن الناس الظن بأهل الله تعالى ويقفوا على كمال العقد الذى عقدوه بينهم وبين ربهم عز وجل والشعرانى رحمه الله يتكلم بلسان القوم أجمعين . راجع مقدمة كتابه لواقح الأنوار القدسية (١٠ – ١٥) .

فهو القيوم الذى لا ينام ، والقهار الذى لا يرام ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، خلق العرش وجعله حد الاستواء ، وأنشأ الكرسى وأوسعه الأرض والسماء ، اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتبا فى خلقه إلى يوم الفصل والقضاء .

أبدع العالم كله على غير مثال سبق ، وخلق الخلق وأخلق ما خلق ..

أنزل الأرواح فى الأشباح أمنا ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح فى الأرض خلفا ، وسخر لها مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ، فلا تتحرك ذرة إلا عنه ، خلق الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكن علمه بذلك سبق ، فلابد أن يخلق ماخلق .

فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عدداً ، يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، كيف لا يعلم شيئا خلقه ؟ ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾[1] عَلم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ماعلمها ، فلم يزل عالماً بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء بعلمه ، أتقن الأشياء وأحكمها ، يعلم الكليات والجزئيات على الاطلاق فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ، فعال لما يريد ، فهو المريد للكائنات فى عالم الأرض والسموات لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شيء حتى أراده ، كما

---

(١) الملك/ ١٤

أنه لم يرده سبحانه حتى علمه إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالى مالم يعلم ، أو يفعل المختار المتمكن من ذلك الفعل مالا يريده ، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حى ، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها .

فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حر ، ولا برد ولا حر ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا بر ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرض ولا صحة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلمة ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ، ولا غداة ولا أصيل ، ولا بياض ولا سواد ، ولا سهاد ولا رقاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لب ، ولا شيء من جميع المتضادات والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق تعالى ، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده فكيف يوجد المختار مالا يريد ؟

لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويضل من يشاء ويهدى من يشاء ، ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن .

لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه ، أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوه ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان ، من مشيئته وحكمته وإرادته ولم يزل سبحانه وتعالى

موصوفا بهذه الارادة أزلا والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر بل أوجده عن العلم السابق ، وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان ، فلا مريد فى الوجود . على الحقيقة سواه ، إذا هو القائل سبحانه : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله**﴾(١) وأنه تعالى كما علم ما حكم ، وأراد فخص ، وقدّر فأوجد ، كذلك سمع ورأى ما تحرك وسكن أو نطق فى الورى ، من العالم الأسفل والأعلى ، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد ، يسمع كلام النفس فى النفس ، وصوت المماسة الخفية عند اللمس ، يرى السواد فى الظلماء والماء فى الماء ، لا يحجبه الإمتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير .

تكلم سبحانه لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلم به موسى عليه الصلاة والسلام ، سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والفرقان ، من غير تشبيه ولا تكييف ، إذ كلامه تعالى من عير لهاة ولا لسان ، كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، كما أن بصره من غير أعين ولا أجفان ، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان ، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر فى برهان ، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة ولا النقصان .

---

(١) الانسان/ ٣٠

فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان ، كل ما سواه فهو عن وجوده فائض وفضله وعدله الباسط والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له فى ملكه ولا مدبر معه فيه ، إن أنعم فَنِعِمَّ ذلك فضله ، وإن أبلى فعذب فذلك عدله ، لم يتصرف فى ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف ، كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلفين للتقوى والفجور(١) فهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفى يوم النشور ، لا يحكم عدله فى فضله ولا فضله فى عدله لقدم صفاته كلها ، وتنزهها عن الحدوث .

أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنّة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى ، ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثمَّ سِواه ، فالكل تحت تصريف أسمائه ، فقبضة تحت اسماء بلائه ، وقبضة تحت اسماء آلائه ، لو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقياً لما كان فى ذلك من شان ، لكنه سبحانه لم يُرد ذلك فكان كما أراد فمنهم الشقى والسعيد ، هنا وفى يوم المعاد ، فلا سبيل إلى تبدل ماحكم عليه القديم وقد قال تعالى فى حديث فرض الصلاة : ﴿ **هى خمس وهى خمسون ، ما يبدل القول لدى وما أنا بظلاّم للعبيد**﴾(٢) لتصرفى فى ملكى وإنفاذ مشيئتى فى ملكى .

---

(١)قال تعالى : ﴿ **ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ الشمس/٧ ، ٨

(٢) روه البخارى كتاب الصلاة (٥٤٨/١) الفتح بلفظ « هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول لدى »

وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولم تعبر عليها الأفكار ولا الضمائر إلا بوهب إلّهى ، وَجُود رحمانى لمن اعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك فى حضرة إشهاده ، فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم وأنها من دقائق القديم ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود بذاته إلا إياه ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾[1] ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾[2] ﴿ **قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾[3] .

وكما شهدنا لله تعالى بالوحدانية وما يستحق من الصفات العلية ، كذلك نشهد لسيدنا ومولانا محمد ﷺ بالرسالة إلى جميع ما أنزل إليه من ربه وأدى أمانته ، ونصح أمته .

وقد ثبت ﷺ بلّغ جميع ما أنزل إليه من ربه وأدى أمانته ، ونصح أمته .

وقد ثبت أنه ﷺ وقف فى حجة الوداع[4] على كل من حضرة من الأتباع فخطب وذكّر ، وخّوف وأنذر ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خصّ بذلك التذكير أحداً دون أحد عن إذن الواحد الصمد ، ثم قال ألا هل بلّغت ؟ فقالوا جميعا : بلغت يا رسول الله ، فقال ﷺ اللهم فاشهد .

---

(١) الصافات/ ٩٦

(٢) الأنبياء/ ٢٣

(٣) الأنعام/ ١٤٩

(٤) راجع مسلم نووى (٨/ ١٧٠) وسنن أبى داود (١/١٨٩)

ونؤمن بكل ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما علمنا ومما لم نعلم ، فمما علمنا وتحققنا مما جاء به وقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر فنحن مؤمنون بهذا إيمان لا ريب فيه ولا شك كما آمنا وأقررنا وصدقنا أن سؤال منكر ونكير فى القبر حق وأن عذاب القبر حق ، والبعث من القبور حق ، والعرض على الله تعالى حق ، والحوض حق ، والميزان حق ، وتطاير الصحف حق والصراط حق ، والجنة والنار حق ، وفريقاً فى الجنة وفريقاً فى السعير حق ، وأن كُرب ذلك اليوم على طائفة من المؤمنين حق ، وشفاعة أرحم الراحمين حق ، فتشفع أسماء الحنان والرحمة ، عند أسماء الجبروت والنقمة .

وكذلك نؤمن بأن إيمان أهل النار كفرعون وغيره غير مقبول ولا نافع ، وأن جماعة من أهل الكبائر من الموحدين يدخلون جهنم ، ثم يخرجون بالشفاعة حق ، وأن كل ماجاءت به الكتب والرسل من عند الله تعالى عُلِمَ أو جُهِلَ حق .

وكذلك نؤمن بأن التأبيد للمؤمنين فى النعيم المقيم حق ، والتأبيد للكافرين والمنافقين والمشركين والمجرمين فى النار حق .

فهذه عقيدة القوم رضى الله عنهم أجمعين ، وعقيدة عليها حيينا وعليها نموت كما هو رجاؤنا فى الله عز وجل . فنسأل الله من فضله أن ينفعنا بهذا الإيمان ويثبتنا عليه عند الانتقال إلى دار الحيوان ، ويحلنا دار الكرامة والرضوان ، ويحول بيننا وبين دار سرابيل أهلها القطران ، ويجعلنا من العصابة التى تأخذ كتبها بالأيمان ، وممن ينقلب

من الحوض وهو ريان ، ويرجح له الميزان ، ويثبت منه على الصراط القدمان ، أنه المنعم المحسان آمين اللهم آمين .

فأمعن ياأخى النظر فى هذه العقيدة فإنها عظيمة ، وإن حفظتها عن ظهر قلب كان أولى والله يتولى هداك .

الفصل الأول

وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار

أبرز الله عز وجل من مكنون غيبه فيضا من رحمته ، وقبساً من سناه شكّله وسواه ، ونفخ فيه من روحه وأظهر فيه من خفيٍّ كنوزه فنفدت فيه مشيئته واستتمت فيه كلمته عز شأنه . فجاء عليه السلام نفحة قدسية ومنحة ربانية ، تسرى بين الناس لتهدى الضال وتقيم المعوج وتجبر الكسير وتعين على نوائب الحق . ذالكم هو الخضر عليه السلام الذى جمع الله تعالى له شريف الخصال ورفيع الخلال .

لكن من هو الخضر ؟ وما نسبه ؟ وما كُنيّته ؟ ومنذ متى بزغ نجمه وتسامع الناس بأخباره ؟ ومن أى البلاد خرج نباته وأنتشر أريجه ؟ ...

ذلك ما سوف نحاول استجلاءه بتوفيق من الله عز وجل وبمعونة منه جل جلاله .

تأريخ ظهوره :

كان بداية التأريخ للخضر عليه السلام من عهد الملك إفريذون بن

اثفيان فلقد حُكَى أنه كان فى أيامه[1] ، وذلك على ماقرره علماء السير والتاريخ .

إلى أى بلد ينتسب

يعد سيدنا الخضر عليه السلام من ولد فارس[2] ، ومن أبناء بعض من كان آمن بإبراهيم عليه السلام وهاجر معه من أرض بابل[3] .

نسبه الشريف عليه السلام :

والحديث عن نسبته المباركة تظهر تعلق محبة الله عز وجل بذاته الشريفة أزلا ، فقد انتخب الله له الآباء فجاء خياراً من خيار فهو أبو

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى (١/ ٢٥٦ - ٢٦٤) . والملك المذكور هو أحد ملوك الفرس وهو أول من اتخذ للخيل سرج وأول من ذلل الفيله ، وهو الذى قتل الضحاك الذى اشتهر بظلمه وملك الدنيا ألف عام .

وفى أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ٢/ ١٣٧ هامش الخطيب الشربينى « وكان الخضر فى أيام أفريذون وكان على مقدمه ذى القرنين وبقى إلى أيام موسى » وتكاد تجمع جمهرة علماء التاريخ والأنساب على ذلك ، وإنما اكتفينا بما سبق طلبا للاختصار .

(٢) أخرج الطبرانى بسند جيد من رواية ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال : « الخضر من ولد فارس » وسنده جيد . قاله ابن حجر فى الاصابة (١/ ٤٣٨)

(٣) حكاه ابن جرير فى تاريخه (١/ ٢٥٦) وأورده بن حجر فى الاصابة (١/ ٢٢٨) وذكره السهيلى فى التعريف والاعلام . وحكاه الحافظ فى الفتح (٦/ ٢٣٧) وعزاه إلى ابن ظفر فى تفسيره وحكاه النووى فى شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٣٦) ونسبه إلى وهب بن منبه كما ذكره ابن قتيبه فى المعارف .

العباس(1) بليا(2) بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام(3) .

---

(١) أبو العباس كنيته . صحيح مسلم . نووى (١٥/ ١٣٦) ـ تهذيب الأسماء واللغات . النووى (١/ ١٧٦)

(٢) بليا بالعربية تعنى أحمد . الصاوى على الجلالين .

(٣) صحيح مسلم . نووى (١٥/ ١٣٦) ـ تهذيب الأسماء واللغات . النووى (١/ ١٧٦) فتح البارى شرح صحيح البخارى . ابن حجر العسقلانى (٦/ ٣٣٥) ولكن قدّم شالخ ولداً لعابر وكذا ذكره فى نسب إبراهيم عليه السلام . أحاديث الأنبياء (٦/ ٢٩٨) .

والنسب المذكور هو الراجح والمختار عند كثير من الأئمة كالحافظ والنووى كما سبق ، وابن الصلاح ، ووهب بن منبه [كذا فى الفتح ٦/ ٣٣٥] واختلف فى اسم أبيه فقيل ملكان وقيل كليان وقيل عاميل وقيل قابل والأول أشهر . الفتح (٦/ ٣٣٦) وقد رويت عدة روايات أخرى يكتنف بعضها البعد أو الغرابة والضعف على مافصّله العلامة ابن حجر فى الاصابة وابن كثير وغيرهما منها :

ـ ما رواه الدارقطنى فى الأفراد من « أنه ابن آدم الصلبه » ـ ضعيف (الحافظ) ـ منقطع غريب (ابن كثير)

ـ ما رواه الكلبى أنه من سبط هارون أخو موسى عليه السلام » وهو بعيد (الحافظ)

ـ ما رواه أبو حاتم السجستانى فى المعمرين أنه ابن قابيل بن آدم وهو معضل (الحافظ)

ـ ما رواه ابن لهيعة « أنه اليسع » بعيد (الحافظ)

ـ ما ذكره بن جرير فى تاريخ الأمم والملوك ونص على خطأه « أنه أروميا بن خلقيا » قال « لأن أروميا كان فى أيام بختنصر وبين عهدى موسى وبينه مالا يشكل قدره على أهل العلم . تاريخ الأمم والملوك (١/ ٢٥٦) =

ومن هذا النسب الشريف المبارك نستلمح تلك النشأة السمحة فى رحاب الدعوة الحنيفية الأولى ، ونلمح أصوله العميقة الراسخة وجذوره القويّة الضاربة ، فما أشبهه عليه السلام بشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء . فأى فخار لرجل يكون جده السادس سيدنا نوح عليه السلام ؟! فهو إذن من أرومة شجرة النبوة المباركة قريب العهد بها فلا عجب أن تسرى فيه أنوار الهداية والتوفيق كما سرت فى آبائه الأولين الأكرمين عليهم السلام .

وإذا أنعمنا النظر لنسبه عليه السلام نجد أنه يلتقى مع الخليل

= ـ ما رواه ابن قتيبة أنه عمائيل بن النون بن العيص بن إسحاق » وهو بعيد (الحافظ)

ـ ما رواه إسماعيل بن أويس أنه المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد بعيد (الحافظ)

ـ ما قاله السدى أنه ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر غريب جداً (ابن كثير)

ـ ما حكاه السهيلى والماوردى « أنه ملك من الملائكة » وهو غريب (الحافظ وبن كثير) والنووى وقال باطل .

وكل ما سبق من روايات قد بدت عورتها وخللها وهى فى ذاتها معارضة بما رواه بن حرير بسند جيد من رواية ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال : الخضر من ولد فارس » وقال ابن جرير : والصحيح أنه كان متقدما فى زمن أفريدون بن أثفيان واستمر حيا إلى أن أدركه موسى عليه السلام ، وحكاه بن كثير عنه فى البداية والنهاية (١/ ٢٧٩) ، وحكاه الحافظ فى الفتح عن ابن ظفر فى تفسيره قال « أنه من ذرية بعض من آمن بابراهيم » الفتح (٣٣٦/٦)

إبراهيم عليه السلام فى جده فالغ[1] وهذا فى حد ذاته شرف يضاف إلى شرفه وفضل يؤكد عراقة فضله ناهيك عن فوز أبيه بشرف صحبة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وهجرته معه من أرض بابل كما سبق ذكره .

فأى عز لرجل أن يكون أبوه ممن صحب الخليل عليه السلام ومن أهل الهجرة معه ، وأى هدايّة يمكن أن نتصورها لبيت شعّت فيه أنوار النبوة فى مراتعها الأولى ، فإذا ترعرع المرء فى كنف تلك الأنوار سُقِيَ لبان الإيمان وترادفت عليه واردات الإحسان وأوتيت

---

(١) ذكر الحافظ فى الفتح (٦/ ٢٩٨) أحاديث الأبياء : وابراهيم هو ابن آزر واسمه تارح ابن ناحور ابن شاروخ بن راغوة بن فالخ ابن عابر ابن شالخ ابن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ..

وإبراهيم بالسريانية يعنى أب راحم ، والخليل فعيل بمعنى فاعل وهو من الخله ، بالضم وهى الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصار خلاله .

وبمقارنة السببين يمكن ملاحظة الآتى :

١ - قال الحافظ الفاتح (٦/ ٣٣٥) أن مولد سيدنا الحضر عليه السلام قبل إبراهيم الخليل عليه السلام لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم وقد حكى الثعلبى قولين فى أنه كان قبل الخليل أو بعده وللجمع بين هذا القول وما سبق أنه ابن رجل من بابل آمن بابراهيم عليه السلام فيمكن الجمع لمن يقدّر طول أعمار الأولين ، ومن الممكن أن يكون سبق الخليل فى ولادته واستمر ت به الحياة حتى أدرك دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .

٢ - وردت روايات فى أسماء سلسلة النسب ليست متطابقة ولكنها متقاربة وهدا احتلاف يسير نشأ من أثر نطق الأسم بالعربية ، عدا ما ساقه ابن حبان فى تاريخه وهو شاذ . كذا حكم العلامة ابن حجر العسقلانى فى الفتح (٦/ ٢٩٨)

نفسه تقواها وتوّلاها وليها ومولاها .. فلا عجب أن تحنّ روحه إلى مسارح القدس وتعكف عابدةً فى رحاب صاحب الفيض والأنس فيتلقاها الحنّان المنّان بالروح والريحان والفيض والرضوان ، ويبلغ بها فى مراقى الفلاح ودرجات الرباح ماهو فوق المرام مما لا تدركه الأفهام ولا تتخيله الأوهام .

لقبه عليه السلام :

تلقب عليه السلام بالخضر(١) واشتهر به حتى غلب على اسمه ، وما شاع لقبه هذا إلا بتزكية من ربه له عليه السلام وكيف لا وهو محبوب الحضرة ، فخرجت كرامته من عين المنة ، ليعلم الناس جَليّة امره وعظيم خطره ، وهذا سيد الوجود ﷺ يشير إلى هذه المكرمة التى حباه الله بها بقوله : « إنما سُميَّ الخضر ، لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من خلفه خضراء »(٢)

وروى عن مجاهد أنه كان إذا صلى اخضّر ماحوله ، وكانت ثيابه خُضْرا(٣) .

---

(١) الصاوى على الجلالين (١/ ١٧) الجمهور على أنه الخَضِر بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد أو سكونها أو بكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات

(٢) تفرد به البخارى عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة (٦/٣٣٦) الفتح ، وكذا رواه عبد الرازق وروى مسلم وأحمد نحوه .

والفروة البيضاء : الهشيم اليابس الأبيض أو وجه الأرض الذى لا نبات فيه .

(٣) أخرجه ابن عساكر وجماعة عن مجاهد ، وكذا فى فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦/ ٣٣٥) ، وكذا عند ابن الجوزى فى زاد المسير فى علم التفسير (٥/ ١٦٨)

ولم تقف العناية مع الخضر عليه السلام إلى حد أن يخضّر المكان تحته إذا صلى فقط بل تلازمت تلك الكرامة معه أنّى حل أو أرتحل ، فعن عكرمة أنه كان إذا جلس اخضر ماحوله[1] ، وكان إذا قام بمكان نبت العشب تحت رجليه حتى يغطى قدميه[2] .

ومن العجب أن تلازمه تلك الكرامة حتى وهو على كبد البحر ففى الصحيح عن أبيّ بن كعب : أن موسى وفتاة وجدا الخضر على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى بثوبه[3]

وسائر هذه الوجوه الشاهدة على ملازمة كرامة ربه عز وجل له ، شاهدة بالأصالة له على كمال ملازمته لحضرة ربه تبارك وتعالى .

وإن رجلا بهذا الوصف لابد وأن يشرق وجهه بأنوار عبودية مولاه وأن يبتدى نور الإيمان على محياه[4] ، فانظر ـ رحمك الله ـ إلى آثار رحمة الله فى هذا العبد ، كيف أحيى الله به الأرض بعد موتها فاهتزت تحته خضراء فكأنه سر حياتها ، ومكمن نضرتها ونمائها ،

---

(١) أخرجه بن أبى حاتم عن عكرمة ، الفتح (٦/ ٣٣٥) ، زاد المسير ابن الجوزى (٥/ ١٦٨)

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة الكهف (٨/ ٣٣٦) وعزاه إلى السدى قال : « وإنما سمى الخضر لأنه كان إذا قام فى مكان نبت العشب حوله » .

(٣) رواه البخارى من طريق ابن عباس عن أبى بن كعب (٨/ ٣٢٩) واستشهد به ابن كثير فى البداية والنهاية (١/ ٣٠٥)

(٤) قال الخطابى : إنما سمى الخضر خضرا لحسنة وإشراق وجهه . قال ابن كثير هذا لا ينافى فى ماثبت فى الصحيحين البداية والنهاية (١/ ٣٢٧)

وإن عبدا منح هذى الكرامة لجدير بأن يلقب بغيث الله إلى أرض الله ، إلى أرض كل قلب ظامىء إلى معرفة مولاه ، فكأن سره ضمن فى لقبه ، وعمله تحدد فى كرامة ربه .

وما أجل إشادة الجليل به فى قرآنه الكريم : ﴿ **عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً**﴾(١) .

وما أكرم الملاطفة الإلّهية به حين ناجاه « لقد أحببتك قبل أن أخلقك ، ولقد قدستك حين خلقتك ، ولقد أحببتك بعد ما خلقتك »(٢)

وفيما يأتى بعد من فصول هذا الكتاب سنعايش بمشيئة الله تعالى بعض قبسات من أحوال تلك النفس الزكية التى حُملت فتحملت ، ونوديت فأنابت وأسلمت ودعيت فوافت وعاينت ، فشربت وتضلعت ، ومُنحت فاشرقت .

البيئة التى نشأ بها عليه السلام :

لما كانت دراسة البيئة الدينية التى نشأ بها عليه السلام باباً مهماً من أبواب المعرفة وجب علينا الوقوف يسيراً على هذا الباب لأنه يساعدنا فى استكناه بعض الغوامض المتصلة بشخصه الكريم عليه السلام ، كما تفصح الدراسة عن الظروف والأحوال التى واكبت مولده ، لذا أستأذن القارىء الكريم فى الرجعة به إلى الماضى السحيق

---

(١) الكهف/ ٦٥

(٢) الاصابة فى تمييز الصحابة العلامة بن حجر العسقلانى (١/ ٤٣٠) وعزاه إلى وهب بن منبه فى المبتدأ .

إبَّان ترعرع سيدنا الخضر على ضفاف الرافدين(١) حيث السهول الخصبة والمناظر الخلابة التى تنطق بعظمة الخالق جل وعلا ، فلقد تحققت البلاد بما حباها الله تعالى فلابد وأن تكون محطاً لهجرات متعاقبة وهاهم يتوافدون عليها ... السومريون فالأكاديون فالبابليون



(١) نهرا دجلة والفرات ببلاد العراق الآن وكانت تعد من بلاد فارس فى الزمن القديم ، وقد سبق أن قدمنا أن الخضر من ولد فارس وأن أباه هاجر مع إبراهيم عليه السلام من بابل (انظر الخارطة)

فالأشوريون[1] و ... يتوافدون عليها بعقول متفاوتة وعقائد متباينة وقلوب باعد الزمن بينها وبين هدى السماء ، فعاشوا حياةً بهيمية وعاثوا فى الأرض فساداً واتخذوا آلهة شيء ..

وفى خضم تلك الظُلم الحوالك بزغ نجم ساطع وطلع فجر صادق بأرض بابل أنه إبراهيم عليه السلام[2] الذى حَفّته عناية الله فنشأ موحداً حنيفاً مسلماً وشرع ينشر الحنيفية فى تلك الربوع ، هاهو يبدأ بأبيه محذراً ناصحا « **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا** »[3] **ثم ينثني على قومه فيحاججهم ويعمد إلى أصنامهم** « **فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون** »[4] . ثم يتوجه إلى عبده الكواكب يناظرهم بمنطق قويم وبفكر ثاقب مبين « **فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين** ... »[5]

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية (٢٧ - ٢٩) (مؤلف مدرسى)

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية/ ٣٣ ، ابن كثير فى البداية والنهاية (١/ ١٧٣) وقال : إن مولده كان بالسوس وقيل ببابل وقيل بالسواد من ناحية كوثى . وفى المعجم كوثى ربى وبها مشهد إبراهيم عليه السلام وبها مولده وهما من أرض بابل وفيها طرح إبراهيم فى النار .

(٣) مريم/ ٤٤

(٤) الأنبياء/ ٥٨

(٥)الأنعام/ ٧٦ - ٨١ لم يكن سيدنا إبراهيم يبحث عن ربه عز وجل فقد نبذ الأصنام وسفه فكر أباه منذ صغره قال تعالى ﴿ **أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين**﴾ ، لكنه ساير عبدة الكواكب فى منطقية إتخاذهم الكواكب آلهة ثم انقض على حجتهم من حيث استدلوا بها ، فقد غاب معبودهم والله حاضر لا يغيب ، فمس يدبر الكون دونه ؟! فأتى على بنيانهم من القواعد .

ويتسامع الناس خبره ويترامى إلى سمع النمروذ(١) أمره ويسير الخليل إلى هذا الطاغية الدَّعِي الذى عبده الناس من دون الله عز وجل ويجيبه إبراهيم عليه السلام عن بعض صفات الإله الحق ﴿ **ربى الذى يحيى ويميت ، قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين**﴾(٢)

مما مر علينا يمكن أن نلحظ هذا الكم الهائل من العقائد الزائغة فى تلك الآلهة الزائفة التى عبدها أهل الرافدين ، وما تركوه وراءهم من آثار يؤكد على حقيقة ترديهم الدينى ونرى فى الوقت نفسه عناية الله عز وجل بهم فى رسولهم الذى أرسل إليهم فقد انطلق فى كل حدب وصوب يكبت الباطل ويدحره ويحق الحق ويظهره .

وفى هذه البيئة نشأ الخضر عليه السلام(٣) فرأى الباطل كيف يتعالى ويزهو ورأى الحق كيف يزمجر ويعلو .

ترى أين يكون موقع الخضر عليه السلام من تلك الحوادث ولأى فريق ينحاز ، وكأنى به يجيب : منحازاً إلى حزب الله ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾(٤) .

---

(١) هو النمروذ بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام . الكامل ابن عدى (١/ ٨١)

(٢) البقرة/ ٢٥٨

(٣) على تقدير أنه نشأ زمن الخليل عليه السلام

(٤) المجادلة/ ٢٢

لربما كانت لهذه النشأة الأولى وما ذخرت به أبلغ الأثر فى شحذ همته للجهاد فى سبيل الله ونشر دينه فى جميع الأصقاع بكل ما آتاه مولاه جل علاه . على ما سيأتى مفصلا بعد بمشيئة الله تعالى .

الفصل الثانى

وإن جندنا لهم الغالبون

منذ وَعَى التاريخ للخضر عليه السلام .. دعى مثالاً فريداً ونموذجا نادراً لعبودية الله رب العالمين ، فقد كانت حياته كلها ترجمة صادقة لحقيقة الموافقة للأمر والنهى وانفعالا دائما لإرادة الله ، فإن أردت كمال الامتثال فاشهده فى شخصه عليه السلام ، وإن أردت عزما لا يُفل ومضاءً لا ينثنى ، فاحتذيها من جامعها عليه السلام ، وإن طلبت مثالا عمليا على كمال الفرار إلى الله لرأيت الخضر عليه السلام فى قمة كمال الفرار إلى الله عز شأنه .

وحُق لعبد ألقى عصا نفسه لله جل شأنه ، أن تحمله عنايته وأن تكفله رعايته وأن تأخذ به المقادير إلى مقامه الأسمى الذى اختاره له ربه عز وجل .

خرج الخضر عليه السلام سائحا فى أرض الله تسوقه المقادير ، فيلتقى فى سياحته بمثال فريد من عباد الله ، ترى من يكون ذلك الرجل ؟ ومن أى طراز يكون ؟ .

إنه عبد الله الملك الصالح العادل ذو القرنين[1] ، سبحان ربى العظيم !!!

---

(١) احتلف فى نسبه هل هو من العرب أو من الفرس فيكون من أولاد سام بن نوح أو من اليونان الذين هم من ولد يافث بن نوح .

فقال القرطبى والسهيلى أنه فارسى وأنه أفريدون بن اثفيان الملك القديم الذى قتل الضحاك الجبار .

وقال ابن هشام وابن عساكر أنه يونانى واسم الأسكندر بن فيليس المقدونى اليونانى المصرى بانى الأسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم . وهو غلط نص عليه بن كثير وابن حجر وغيرهم والصواب التفرقة بينهما فالمذكور آنما جاء بعد ذى القرنين بدهر طويل أكثر من ألفى سنة حيث كان ظهوره قبل المسيح بنحو ثلثمائة سنة وكان وزيره أرسطاليس الفيلسوف ، أما ذو القرنين فكان فى زمن إبراهيم عليه السلام وكان وزيره الخضر عليه السلام قال السهيلى : والظاهر من علم الأخبار أنهما أثنان احدهما كان على عهد إبراهيم ويقال أن ابراهيم تحاكم إليه فى بئر السبع بالشام فقضى لإبراهيم عليه السلام . قلت : الأشبه أن المذكور فى القرآن الذى كان زمن إبراهيم بدليل ما ذكر فى ترجمة الخضر وجرى ذكره فى قصة موسى والخضر الذى كان على مقدمة ذى القرنين . وقد ثبتت قصة الخضر مع موسى ، وموسى كان قبل زمن عيسى قطعا ، فتحقق أن يكون غير الأول قال الحافظ فى الفتح : وفى إيراد المصنف (البخارى) ترجمة ذى القرنين قبل إبراهيم عليه السلام إشارة إلى توهين قول من زعم أنه الأسكندر اليونانى لأن الأسكندر كان قريب من زمن عيسى عليه السلام وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من ألفى سنة والذى يظهر أن الأسكندر المتأخر لقب بذى القرنين تشبيها بالمتقدم لِسَعَة مُلكه وغلبته على البلاد الكثيرة . فتح البارى (٦/ ٢٩٤ - ٢٩٦

والحق أن الذى قص الله نبأه فى القرآن هو المتقدم والفرق بينهما من أوجه ، وعدَّ الحافظ ستة أوجه وقال بعدها فهذه الآثار يشد بعضها بعضا ويدل على قدم عهد ذى القرنين الذى كان زمن إبراهيم عليه السلام . =

= وقال الحافظ فى الفتح : لكن الذى يقوى أنه من العرب لكثرة ماذكروه فى أشعارهم ونسبوه إلى قبائلهم ومن هؤلاء الشعراء إمرىء القيس وأوس بن حجر وطرفه بن العبد وقيس ابن ساعده والنعمان بن بشير الأنصارى الصحابى بن الصحابى حيث قال :

ومن ذا يعادينا من الناس معشر ∴ كرام وذو القرنين منا وحاتم

ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح فى اسمه الصعب .

وهذا ماجزم به كعب الأحبار وذكره بن هشام فى التيجان عن ابن عباس وقال جعفر بن حبيب فى كتاب المحبر قيل اسمه الصعب بن قرن بن همال من ملوك حمير . راجع فتح البارى (٦/ ٢٩٤ - ٢٩٦) البداية والنهاية (٢/ ٩٥ - ١٠٣)

ورويت عدة روايات فى سبب تسميته بذى القرنين وهى كما يلى :

١ - لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب . وهذا أشبه وأقرب (قاله الزهرى)

٢ - قال بعضهم كان فى رأسه شبه القرنين

٣ - وقال بعضهم كانت له غديرتان من شعر يطافيهما . قاله الحسن البصرى .

٤ - وقال على رضى الله عنه : كان عبداً ناصحاً لله فناصحه ، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فسمي ذو القرنين .

٥ - وقيل لأنه كان له قرنان من نحاس فى رأسه . وهو غريب ومردود (ضعفه بن كثير) وباستبعاد الرأى الأخير فإنه يمكن الجمع بين الروايات الأربع الأولى .

وكان ذو القرنين عبداً صالحاً مؤمناً وملكا عادلاً وزيره الخضر عليه السلام وهو متفق على اسلامه وولايته . ذكر الأزرقى أنه أسلم على يدى إبراهيم الخليل عليه السلام وطاف معه الكعبة وهو وإسماعيل عليهما السلام . وروى الفاكهى من طريق =

= عبيد بن عمير أحد كبار التابعين «أن ذا القرنين حج ماشياً فسمع أبيه إبراهيم فتلقاه فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا . ويقال أنه جيء له بفرس ليركبها فقال : لا أركب فى بلد فيه الخليل ، فسّخر الله له السحاب وبشره إبراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد .

والصحيح أنه ماكان نبيا ولا ملكا من الملائكة وإنما كان ملكا صالحا ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وكان كلما مرّ بأمة غلبهم وقهرهم ودعاهم إلى الله عز وجل فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم ، واستخدم من كل أمة ماتستعين به جيوشه على قتال الأقليم المتاخم له . وسئل على رضى الله كيف بلغ المشرق والمغرب ؟ قال : سبحان الله سخّر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد قال تعالى ﴿ **إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا**﴾(1) ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أى علما بمنازل الأرض وأعلامها وتعليم الألسنة فكان لا يغزوا قوماً إلا كلمهم بلسانهم » والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به لنيل مقصوده .

وهو صاحب السد الذى بناه بين يأجوج ومأجوج وبين من تاخمهم من بلاد ، وكأن الله قد أسال له النحاس بقوله ﴿ **أفرغ عليه قطرا** ﴾(2) كما قال فى شأن داود عليه السلام ﴿ **وأسلنا له عين القطر** ﴾(3) ـ قاله ابن كثير فى البداية والنهاية

وكان داعيا إلى الله سائرا فى الخلق بالمعدلة القامة والسلطان المؤيد المنصور ، وكان الخضر على مقدمه جيشه بمنزله المستشار الذى هو من الملك بمنزله الوزير .

وذكر فى أخبار بنى اسرائيل أنه عاش ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض . قال ابن كثير وفى كل هذه المدة نظر مع أنه نقل فى نفس كتابه من خطبة قس بن ساعده قوله ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمرّ ألفين ثم كان ذلك كلحظة عين .

راجع ابن كثير البداية والنهاية (٢/ ٩٥ – ١٠٣) ـ تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٠٠ – ١٠٣) الطبرى تاريخ الأمم والملوك (١/ ٢٥٦) ـ فتح البارى (٦/ ٢٩٤ – ٢٩٦) الفخر الرازى التفسير الكبير .

---

(1) الكهف/ ٨٤ — (2) الكهف/ ٩٦ — (3) سبأ/ ١٢

أى قدر جليل جمع بين هاتين القمتين[1] ليحقق الحق بهما أعظم فتح وأكبر إنجاز فى تاريخ البشرية ولا عجب أن تتصافح أيديهما وأن ينطق قلباهما قبل لسانيهما بالبيعة فى سبيل الله عز وجل ، وما أعزها من بيعة ؟!

فلتهنأ أبا العباس[2] بما أولاك مولاك وحباك فقد لبى طلبتك وأنجز لك رغبتك ويسر لك أمر الجهاد بصحبة فارسه الأعظم .

ولتهنأ أيها الملك الصالح[3] بصحبة هذا العبد التقىّ النقىّ الفتّى البهىّ ولكأنما نظر ذو القرنين بثاقب بصره إلى الخضر عليه السلام ، فشاهد السر يلوح على مخايله ، والنصر والتمكين معقود بناصيته ، فجعله على مقدمة جيشه فألاً بالفتح وتميمة للنصر وعنواناً للفضل فلذا قرّبه مستشاراً أمينا ، وصديقا صدوقا .

وإذا كان الله جل فى علاه مَكّن لذى القرنين فى الأرض وآتاه من كل شيء سببا فلأنت سيدى أبا العباس من أجلّ الأسباب التى أُوتيها ولأنت آية التمكين الكبرى فى ملكه .

والحديث عن الجهاد حديث عن ذروة الإسلام وسنامة ، فالجهاد بحد ذاته يتكلم عن صاحبه ويفصح عن شخصيته ، فكيف الأمر بالخضر الجندى القائد الذى عشق الجهاد وصار عنده محبوبا مطلوبا مستطابا مرغوبا ، فقد وهب نفسه لله فقبل الله بيعته ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾[4] .

---

(١) وهما الخضر وذو القرنين عليهما السلام (راجع ترجمة ذى القرنين)

(٢) هو الخضر عليه السلام وكنيه أبو العباس

(٣) هو ذو القرنين

(٤) التوبة/ ١١١

وذهب ذو القرنين وصاحبه فى طول البلاد وعرضها فى سياحة لا مثيل لها ، إنها ليست سياحة فى نزهة خلوية ، ولكنها سياحة فى رضا رب البريّة تطلبت مصابرة وجهاداً ومجالدة واحتمالا من وراء تصور العقول ، فالأمر لم يتوقف عند حد خوض معركة أوَ اثنتين بل تناهى إلى فتح المشارق والمغارب فتحا عسكريا وفتحا دينيا ، ولئن كانت إزالة الطواغيت تتطلب عنتاً بالغا ودماءً فإن فتح القلوب لهدى السماء يتطلب مثابرة وحكمة وعلما .

ومن هنا كان جهادهما مضرب الأمثال ، ولا مطمع أن يجاريهما فيه فحول الرجال ، وهل يتيسر لرجل أن يحيى ما يربوا على الألف سنة(١) غازيا فاتحا آخذا بعنان فرسه فى سبيل الله يبلغ كلمة الله وينشر سناه ويحكم بالقسط والمعدلة التامة .

لله درهما !!

لقد سعيا فى الأرض يحملان مشاعل الهدى إلى الأمم التى تردت فى هوة الظُلَم والظلمات ...

كم من البلاد فتحا ، كم من القلوب هديا ، كم من العقول أنارا ... إنها أمم بكاملها تدخل فى دين الله عز وجل أفواجا واحدة تلو أخرى ، وما أحلى جنى الثمار بعد ليل الكد والمثابرة ، وهكذا تكون الدعوة إلى الله حقا ، عطاء بلا حدود ، وصدق مع المولى المعبود ، يصدقك الله فى سعيك ويشد عزمتك ويلبى طلبتك ولو كانت من وراء العرش !!

---

(١) عاش ذو القرنين ألف وستمائة سنة (راجع ترجمة ذو القرنين)

وذو القرنين والخضر بحسن بلائهما المتواصل دخلا فى طيات قوله تعالى ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين**﴾(١) ودخلا فى رحاب قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾(٢) . وما أرفع قدرهما عند الله بنص قول النبى الكريم ﷺ « **لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها** »(٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دُلنى على عمل يعدل الجهاد ؟ قال : لا أجده . قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تَفْتُر وتصوم ولا تُفْطِر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك(٤) .

نعم فهذا شأن الصاحبان جهاد متواصل ودعوة إلى الله متواصلة طالبين وجه الله عز وجل وحده فيبشرهما المولى الكريم بقوله ﴿ **فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين**﴾(٥)

---

(١) فصلت/ ٣٣

(٢) الصف/ ١٠ - ١١

(٣) البخارى كتاب الجهاد (٦/ ١٧) الفتح ، مسلم كتاب الأمارة (١٣/ ٣٠) نووى ، الترمذى (فضائل الجهاد) (٤/ ١٥٤) النسائى (الجهاد)

(٤) البخارى كتاب الجهاد (٦/ ٦) الفتح ، مسلم بنحوه كتاب الأمارة (١٣/ ٢٨) نووى

(٥) آل عمران/ ١٤٨

ويحقق الحبيب المصطفى فى كمال فضلهما وحسن صنيعهما فيقول **﴿ لئن يهدى الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم﴾**(١)

ويقوله ﷺ **« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه »**(٢) فلنتخيل كل هذه الأمم التى دخلت على أيديهما فى دين الله عز وجل ، لنعلم أى عز وكرامة ومكانة لهما عند الحق تبارك وتعالى وأى ثواب لهما من تبعية هذه الجموع لدين الله ولنتقاصر فى نفس الوقت ونتضاءل جميعا بأقوالنا وأعمالنا وأحوالنا أمام هذه القمم السامقة التى لا مطمع لأحد أن يقترب من عشر معشار صنيعها رضى الله عنهم أجمعين

إننا فى زماننا هذا لو تنقل رجل متنزها بين بلدة وأخرى فى رغد عيش وهدوء بال لعاش على هذه الذكرى بقية عمره يفاخر بها ويزهو بذكرها .

لكننا فى سيرتنا العطرة هذه أمام صرحين شامخين وطودين راسخين ، فكم من السنين توالت عليهما يقطعان الفيافى والقفاز ويتعاقب عليهما الليل والنهار ولا زالا على ما عاهدا الله عليه لم تفتر لهما همة ولم تلن لأحدهما قناة !

---

(١) البخارى كتاب الجهاد (٦/ ١٦٨) الفتح ، مسلم/ فضائل الصحابة (١٥/ ١٨٧) نووى ، مسند أحمد (٢٣٨/٥)

(٢) مسلم العلم (١٦/ ٤٦٨) أبو داود السنة (٤/ ٢٠٠) الترمذى علم (٥/ ٤٢)

إنها ألف عام حسوما أو يزيد(1) من السعى الدؤوب المثمر والجهاد المضنى حتى آوى ذو القرنين إلى جوار ربه عز وجل وأنظر الخضر بمشيئة ربه وأنسى له فى أجله(2) فصدق فيهما قول الله عز وجل ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**﴾(3)

مع الخليل إبراهيم عليه السلام

ولعلنا نتساءل .. أى دعوة هذه التى دعا بها الرجلين فى الخلق ؟ ... وبأى دين دانا ؟ وعن أى نبى أخذا ؟

وللإجابة على ذلك وجب علينا العود مرة أخرى إلى بلاد الرافدين حيث بدأت الدعوة إلى الحنيفية وظلت إلى ما شاء الله عز وجل ثم أذن الله لنبيه إبراهيم فى الهجرة فخرج مع جملة ممن آمن معه مرتحلا حتى بلغ أرض الشام فنزل فى أرض بيت المقدس وضرب قبته هناك قال تعالى : ﴿ **ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين**﴾(4) وهناك فى صحراء الأردن إحتفر إبراهيم بئراً لماشيته أطلق عليها بئر سبع ثم إن قوما من أهل الأردن إدعوا الأرض التى كان احتفر بها إبراهيم بئره لأنفسهم وتصادف زمن تلك الخصومة سير

---

(1) راجع ترجمع ذو القرنين ـ عاش ألف وستمائة سنة ـ حسوما : متتابعة
(2) على ما سيأتى مفصلا بعد بمشيئة الله تعالى ـ راجع البداية والنهاية لابن كثير ـ تاريخ الأمم والملوك للطبرى
(3) الأحزاب/ ٢٣
(4) الأنبياء/ ٧١

ذى القرنين بالبلاد الذى ذكر أن الخضر كان على مقدمته فتحاكم إبراهيم إليه فقضى له ببئر السبع(١) .

ومن هنا كان اللقاء ... ومن هذه الخصومة العابرة جمع الله بينهم ، فهاهو ذو القرنين والخضر قد انصف إبراهيم من أهل الأردن وقضوا له بحقه فى البئر ، وهاهو الخليل إبراهيم عليه السلام ينصفهما من أنفسهما فيعرض عليهما الإسلام ويبلغهما خبر السماء فتتلقف القلوب الزكية الدعوة راضية مرضية فلطالما هفت إليه وتطلعت إلى ينبوعها ، وقد وافاهما نبعها الزلال فوجب أن يرتويا ويكرعا ويتضلعا .. لكأنهما يخاطبان الخليل عليه السلام : لقد بالغت فى نصحنا وتذكيرنا .. امدد يدك نبايعك على الإسلام(٢) ... نشهد أن لا إله إلا الله وأنك ياإبراهيم رسول الله .

وتتصافح الأيدى مبايعة موثقة عرى الإسلام ، ومن قبل تعانقت الأرواح فى عالم الغيب وصدق حبيبنا الأعظم ﷺ « **الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** »(٣) فما تعارف هنالك كان مؤتلفاً هنا .. فهنيئا لكم بالتعارف السابق والائتلاف اللاحق .. فوالله لقد فزتما بخيرى الدنيا والآخرة وقد استقرت درة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ابن جرير الطبرى (١/ ٢٥٦ وما بعدها)

(٢) ذكر الأزرق وغيره أن ذى القرنين الأكبر الذى كان الخضر على مقدمته أسلم على يدى إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة هو وإسماعيل عليهم السلام . ابن كثير البداية والنهاية (٢/ ٩٥ - ١٠٣)

(٣) رواه البخارى (٦/ ٤٢٦) الفتح ، ومسلم (١٦/ ٤٢٤) نووى ، وأحمد (٢/ ٢٩٥) ، وأبو داود (٤/ ٢٦١)

التوحيد فى قلبيكما وصرتما فى ملة الحنيفية ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم**﴾(١) وهنيئا بمطالعة وجه خليل الرحمن ، تلك الطلعة التى تترادف على قلب صاحبها دقائق الفيوضات وتتعاقب على سره هوامع التجليات .. فأى قبس يُحاز من هذا الوجه البهىّ الندىّ وأى نَفَسٍ يُشم ممن ترددت أنفاسه بالله بعد أن قام على مرضاته وذاب فى محبته ، ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين**﴾(٢) .

فقد تكاملت إذن فصول الأحداث ، وانتخب رجالها انتخاباً ، هم ثلاثة ... وأى ثلاثة !!!

حلف الزمان ليأتين بمثلهم حنثت يمينك يازمان فكفّر

فمن فوق هذه البقعة الطاهرة من أرض فلسطين المباركة وفى هذه اللحظة العزيزة من الزمان .. اجتمع الثلاثة الأماجد ، وتعاهدوا على حمل دين الحنيفية إلى مشارق الأرض ومغاربها .

وكأن الخضر وذو القرنين عليهما السلام بدخولهما فى عهد إبراهيم عليه السلام قد صارا من حوارييه ، كما كان الشأن فى حواريى عيسى عليه السلام ونقباء موسى عليه السلام وأصحاب سيدنا محمد على نبينا وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأتم السلام .

---

(١) الحج/ ٧٨

(٢) النحل/ ١٢٠

وهكذا حمل الصاحبان الدعوة فى شغاف قلبيهما وأمسكاها فى حنايا ضلوعهما فصحت حركتهما فى الحياة بتعاليم الحنيفية السمحة .

فأكرم بجيش هو نفحة الخليل عليه السلام تحت قيادة الملك الصالح ذو القرنين وفى مَعيّة وزير مستشار مؤتمن هو الخضر عليه السلام ، فلا شك أن يكون الجند جند الله عز وجل الفاتحون بكلمة الله ، المؤيدون بسلطان الله ﴿ **وإن جندنا لهم الغالبون**﴾(١)

لقد رحم الله الزمان والمكان والبلاد والعباد بهؤلاء الثلاثة عليهم السلام ومن هنا يمكن القول بأن دعوة إبراهيم عليه السلام بلغت مشارق الأرض ومغاربها كما بلغ أذانه بالحج (٢) سائر الأسماع بقدرة الله جل جلاله ، وكما بلغت ملته لنا ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل**﴾(٣) .

لله دَرُّ إبراهيم عليه السلام .. لقد كان أمة وحده !

والله دَرُّ ذو القرنين عليه السلام لقد سُخر له السحاب ومُد له فى الأسباب .

ولله دُرُّ الخضر عليه السلام ... لقد كان مشورة الهدى وفأل النصر وتميمة الفتح .

****

---

(١) الصافات/ ١٧٣

(٢) قال تعالى ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**﴾ الحج/ ٢٧

(٣) الحج/ ٧٨

الفصل الثالث

فوجدا عبداً من عبادنا

وتوالج الليل والنهار بحكمة الكبير المتعال ، فاندثرت عروش وممالك وتوارى أهلها فى طيات الأيام ..

انقضى عهد إبراهيم الخليل عليه السلام والملك العادل ذو القرنين وتتالى ظهور الأمم ومجىء الرسل بحكمة ذى الجلال لكن الحكيم الخبير يستبقى الخضر(١) فى الحياة كآية « ناطقة » بحكمته البالغة وإرادته النافذة وقدرته الغالبة ﴿ **والله غالب على أمره**﴾(٢)

وتواصل الحياة دورتها حتى عهد كليم الله موسى عليه السلام(٣) فيظهر سيدنا الخضر عليه السلام مرة أخرى بقوة على مسرح الأحداث ويقص الله عز وجل علينا من خبرهما ويحدثنا عن سيدنا الخضر فى تلك القصة بأبلغ آيات الثناء والتفخيم ﴿ **عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾(٤) .

---

(١) على ماسيأتى مفصلا بأدلته فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

(٢) يوسف/ ٢١

(٣) مابين سيدنا إبراهيم الخليل وموسى الكليم من زمان أكثر من ألفى عام . راجع تاريخ الأمم والملوك . البداية والنهاية .

(٤) الكهف/ ٦٥

ترى ماهى تفاصيل هذه الأحداث ، ما الذى دفع الكليم إلى السفر للقاء الخضر عليهما السلام ؟

ما الذى حدا بالكليم وهو من هو بين انبياء الله ورسله أن يسعى إلى من دونه فى المنزلة باتفاق(١) .. ماالذى حرّكه كى يعزم عزماً أكيداً على ملاقاته مهما كلفه ذلك من عُسرٍ ومشقةٍ فيقول ﴿ **لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا**﴾(٢)

ما الأمر ؟ .. ما الخبر ؟ ...

إذا أردنا الجواب فتعالوا بنا للاجتماع بسيد الأكوان ﷺ ليخبرنا بسر ذلك وهو يقول (٣) « موسى رسول الله عليه السلام ذَكَّرَ الناس

---

(١) أقصى ما قيل فى الخضر أنه رسول وقيل نبى لكن موسى عليه السلام رسول كليم ومن أولى العزم الذين هم رؤوس المرسلين على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام .

(٢) الكهف/ ٦٠

(٣) وردت قصة الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام فى عدة مواضع من كتب السنة منها :

١ - البخارى وقد رواه فى عدة مواضع فى صحيحه من عدة طرق

أ - كتاب العلم باب ما ذكر فى ذهاب موسى فى البحر إلى الخضر عليه السلام .

ب - كتاب أحاديث الأنبياء حديث الحضر مع موسى عليهما السلام

جـ - كتاب التفسير باب قوله « وإذا قال موسى لفتاه ... »

٢ - صحيح الإمام مسلم .

٣ - سنن أبى داود والترمذى والنسائى

٤ - مسند أحمد وابن أبى حاتم وابن المنذر وابن جرير وعبد بن حميد وغيرهم .

وسوف اعتمد بمشيئة الله تعالى على شرح العلامة المفنن الحافظ الحجة أمير المؤمنين ابن حجر العسقلانى فى شرحه فتح البارى مع التصرف وإظهار بعض النكات وتوفيق=

يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقَّت القلوب .. وَلَّىٰ ... فأدركه رجل فقال : أى رسول الله : هل فى الأرض أحد أعلم منك ؟ قال : لا . فَعَتَبَ عليه(١) إذ لم يَرُدَ العِلْمَ إلى الله .

قيل : بلى(٢) . قال : رب فأين ؟ قال بمجمع البحرين

= الأحداث فمن أراد الرجوع إلى أصل الشرح فليراجعه فى موضعه . والحديث المختار الذى بين أيدينا الآن رواه البخارى فى صحيحه من طريق ابن جرير عن يعلى بن مسلم وعمر بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب يرفعه لرسول الله ﷺ . (فتح البارى ٨/ ٣٢٩ - ٣٤٠) المطبعة البهية – ط ٢ .

(١) أى عتب الله عليه .

(٢) لعلنا إذا جمعنا طرق هذا الحديث بعضها إلى بعض فسوف تعطى صورة أكثر وضوحاً لمجريات الأحداث وأسبابها كما ستراه بين يديك الآن بمشيئة الله تعالى .

فلعل سيدنا موسى عليه السلام استشعر فضل الله تعالى عليه فعند عبد بن حميد من طريق أبى العالية « **لما أوتى موسى التوراة وكلمه الله وجد فى نفسه أن قال من أعلم منى** » وعند النسائى عن ابن عباس « **قام موسى خطيبا فى بنى إسرائيل فأبلغ فى الخطبة فعرض فى نفسه أن أحداً لم يؤت من العلم ما أوتى** » فأراد الله تدارك موسى عليه السلام بعنايته فأنطق هذا السائل قائلا : « **هل فى الأرض أحد أعلم منك ؟ فأجاب موسى عليه السلام بما وقر عنده : لا** » [كما هى رواية الباب] وعند مسلم « **ما أعلم فى الأرض رجلا خيراً وأعلم منى** » . « **فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله** » [**رواية الباب**] وعند مسلم « **وأوحى الله إليه إنى أعلم بالخير عند من هو** » . فإذا به يسارع إلى الانابة ويسأل ربه عز وجل هل فى الأرض من هو أعلم منى فيجيب الله « **وإن فى الأرض رجلا هو أعلم منك** » [رواية مسلم] فيسأل عن حاله وصفته « **أى رب أى عبادك أعلم قال : الذى يبتغى علم الناس إلى علمه** » [رواية عبد بن حميد] . « **قال من هو ؟ وأين هو ؟ قال الخضر** » [رواية عبد بن حميد] **قال أى رب فأين قال بمجمع البحرين** [رواية الباب] وكأنه قال يارب ففى أى مكان بمجمع البحرين فجاءت الاجابة « تلقاه عند الصخرة » [عبد بن حميد] .

قال : أى ربِ إجعل لى علماً أعلم ذلك منه [فقال لى عمرو قال] حيث يفارقك الحوت . [وقال لى يعلى] قال : خذ حوتا ميتا .. حيث ينفخ فيه الروح(١) ، فأخذ حوتا(٢) فجعله فى مكتل فقال لفتاه لاأكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت قال ماكلفت كثيراً فذلك قوله جل ذكره ﴿ **وإذا قال موسى لفتاه**﴾ .

يوشع بن نونٍ [ليست عن سعيد](٣) قال فبينما هو فى ظِلٍّ

---

(١) وكأن سيدنا موسى عليه السلام بعد أن حدد وجهته إلى مجمع البحرين قال لنفسه إن الصخر كثير بمثل هذه الأمكنة فكيف أُحدد دُعين الصخرة المطلوبة ، فقال : « **أى رب اجعل لى علما أعلم ذلك منه** » [**رواية الباب**] « **فجعل له الحوت آية** » [رواية البخارى عن قصة الحر بن قيس] وكأنه قال عليه السلام : أى رب وكيف يكون الحوت لى آية « **فقيل له تزود حوتا مالحا** » [رواية مسلم] « **فتجعله فى مكتل فحيث مافقدت الحوت فهو ثَمّ** » [رواية البخارى قصة الحر بن قيس] . والتقدير أن الحوت تدب فيه الحياة « **ينفخ فيه الروح** » [رواه الباب] فينسل فى البحر (يدخل فى البحر) .

(٢) أخرج أبو حاتم من رواية الربيع بن أنس « أنهما اصطاداه » يعنى موسى وفتاه .

(٣) القائل هو ابن جريج إما لينفى بها صورة السياق ويحتمل أن مراده آن تسميه الفتى بيوشع بن نون ليست عنده فى رواية سعيد بن جبير لكنها جاءت فى رواية سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير « ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون » .

ويوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان ابن أخت موسى عليه السلام (نقله ابن العربى) وهو الذى قام فى بنى إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام . (وسيأتى مزيد تفصيل فى سيرته عليه السلام) .

صخرةٍ فى مكانٍ ثَرْيانَ إذ تضرب الحوت(١) .

---

(١) وصل موسى وفتاه عليهما السلام إلى مجمع البحرين فى الظهيرة وحَنَّا إلى الراحة فآويا إلى جوار صخرة ووضعا الحوت فى ظلها « فبينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان » أى مكان مبلول لسيلان الماء من عين تحت الصخرة التى بجواره لأنه « فى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شىء إلا حَىَّ فأصاب الحوت مس ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر (رواية قتيبة عن سفيان ـ البخارى) وقد أخرجها بن مردوية من رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان مدرجة فى حديث عمرو بلفظ « حتى انتهيا إلى الصحرة فقال موسى عندها (أى نام) وكان عند الصخرة عين ماء يقال لها عين الحياة لا يصيب من ذلك الماء ميت إلا عاش فقطرت من ذلك الماء على الحوت قطرة فعاش وخرج مس المكتل فسقط فى البحر .

قال الحافظ فى الفتح : وأظن أن ابن عيينة أخذ ذلك عن قتادة فقد أخرج ابن أبى حاتم من طريقه قال : فأتى على عين فى البحر يقال لها عين الحياة فلما أصاب تلك العين ردّ الله روح الحوت إليه .

هذا مجمل ماورد عند البخارى وابن مردوية وابن ابى حاتم من حديث على عين الحياة

وقال الحافظ فى الفتح : الأخبار صريحة فى أن العين عند الصخرة وهى غير البحر وكان الذى أصاب الحوت من الماء شىء من رشاش ، ولعل هذه العين إن ثبت النقل فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فَخُلّدَ وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل عن الاسرائيليات .

قلت : النقل عن الاسرائيليات غير ممنوع باطلاق كما أوهمه البعض وما أخرجه البخارى خير شاهد فعن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ : « **بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج** » وضابطه ألا نذكر من الاسرائيليات إلا ما أذن الشارع فى نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . البداية والنهاية ابن كثير (١/ ٥) .

وموسى نائم . فقال فتاه : لا أُوقِظُه ، حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره[١] . وتضرب الحوت حتى دخل البحر ، فأمسك الله عنه جريَة البحر حتى كان أثره فى حجر[٢] . قال لى عمرو : هكذا كان أثره فى حجر ـ وحلَّق بين ابهاميه والتى تليانهما[٣] .

لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا[٤] . قال : قد قطع الله عنك النصب .

---

(١) وقع عند مسلم من رواية أبى إسحاق أن موسى تقدم فتاه لمَّا استيقظ ، فسار . فقال فتاه ألا ألحق نبى الله فأخبره ؟ قال : فنسى أن يخبره . وأما قوله تعالى « نسيا حوتهما » فإما أن يكون نسب النسيان إليهما تغليباً وإما أن الفتى نَسِىَ أن يخبر موسى عليه السلام ، كما نسى موسى أن يستخبر عن شأنه وقد جعله له علامة .

(٢) أى أن سير الحوت فى البحر كان أمره عجبا ، فما سلك فى البحر مسلكا إلا وجَمَّدَ الله الماء من حوله فظهر فى البحر ما يشبه النفق أو السرب فى باطن الأرض ، فذلك قوله تعالى ﴿ **فاتخذ سبيله فى البحر سربا** ﴾ وما كان ذلك إلا ليستدل موسى عليه السلام بذلك النفق على مكان الخضر عليه السلام فى جزيرة البحر . فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى .

(٣) وفى رواية سفيان عن عمرو « فصار عليه مثل الطاق » وفى رواية أبى اسحاق عند مسلم « فاضطرب الحوت فى الماء فجعل لايلتئم عليه » . صار من الكوه .

(٤) فى رواية سفيان : فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به .

- ـ ليست هذه عن سعيد(٥) أخرّه(١) فرجعا(٢)

فوجـدا الخـضر(٣) على طنفسـة خـضراء على كبـد

---

(٥) أى ليست هذه الرواية بخصوص (قد قطع الله عنك النصب) عن سعيد بن جبير التابعى الذى يروى هذه الرواية عن ابن عباس وإنما أرويها من طريق آخر .

(١) أخرّه : بمعنى آخر الكلام وفى رواية غير أبى ذر : أخبره من الإخبار ووقع فى رواية سفيان : فقال له قتادة : أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا . قال : فكان للحوت سربا ولموسى عجبا .

(٢) فى رواية سفيان « فقال ذلك ماكنا نبغ أى نطلب » . وعند النسائى : هذه حاجتنا وذكر موسى ما كان الله عهد إليه ـ يعنى من أمر الحوت ـ .

(٣) يقصان آثار سيرهما « فارتدا على آثارهما قصصا » حتى إذا انتهيا إلى الصخرة التى ناما عندها « وفعل فيها الحوت ما فعل » [رواية النسائى] أشار إليه فتاه إلى المكان الذى انسل فيه الحوت إلى البحر وما أحدث من كوة فى الماء فما كان من موسى وفتاه إلا أن سلكا ملك الحوت حتى انتهى بهما المسلك إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا بالخضر عليه السلام نائما على الجزيرة إلى جوار صخرة فيها .

قلت : الظاهر من بعض الروايات أن موسى وفتاه عليهما السلام رجعا يقصان الأثر حتى انتهيا إلى الصخرة التى كانت عندها فوجدا الخضر دون أن يجداه فى البحر . كما جاء فى بعض الروايات من طريق قتيبة بن سعيد عن سفيان «فلما انتهيا إلى الصخرة إذا هما برجل مسجىّ » وعن طريق سفيان عن عمرو « يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجىّ » .

وهذا ما حدا بفريق من العلماء أن يصرح بأن موسى عليه السلام التقى بالخضر على الشاطىء عند الصخرة التى ناما عندها . لكن جاء فى روايات صحيحة أخرى ما يشير إلى التقائه به فى البحر فلعل فى الروايات السابقة حذف واختصار أفصحت عنه رواية الباب التى بين أيدينا وفيها ما يشير إلى أن موسى عليه السلام وصل إلى =

البحر[1] ، قال سعيد بن جبير : مسجىً بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه[2] .

= الصخرة التي ناما عندها فرأى آية الله تعالى فى الحوت إحياءاً وسلوكاً فى البحر « واتخذ سبيله فى البحر سربا » وذلك كي يتمكن موسى عليه السلام من قص أثر الحوت فى البحر متوصلا به إلى الخضر عليه السلام « واتخذ سبيله فى البحر عجبا » فإذا بالخضر على « طنفسة خضراء على كبد البحر » وإلا فلا معنى لحصول آية السرب فى الماء ولا معنى لاتخاذ موسى سبيله فى البحر متعجبا من عظيم تدبير الله وتقديره ، وكيف يترك الخضر بعد أن وجده على الشاطىء ـ وهو بغيته ـ ليسير فى البحر ؟

ولعل البخارى رحمه الله تعالى أشار إلى هذا حينما أورد فى صحيحه من كتاب العلم بابا بعنوان « ماجاء فى ذهاب موسى فى البحر إلى الخضر » .

وتأكيداً على ذلك فقد روى عبد بن حميد عن أبى العالية وروى بن أبى حاتم من طريق الربيع بن أنس « إنجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فدخلها موسى على أثر الحوت » فانتهى به السرب إلى أن « التقى بالخضر فى جزيرة من جزائر البحر » رواية عبد بن حميد عن أبى العالية .

قال الحافظ فى الفتح : والتوصل إلى جزيرة فى البحر لايقع إلا بسلوك البحر غالبا ، فهذا يوضح أنه ركب البحر إليه (١/ ١٣٧) ـ كتاب العلم .

(١) فى هذه العبارة دليل على كونهما وجدا الخضر فى البحر وليس على الشاطىء ، لكن بين وجوده على طنفسة (وهو نوع من الفراش) ورؤيته على جزيرة من جزائر البحر فرق ظاهر إلا أن يكون التقدير أنهما وجداه على جزيرة قد فرش عليها طنفسة تحته فنام عليها وغطى بما تبقى منها رأسه ورجليه ـ كما صرحت بعض الروايات ، ورواية الباب .

(٢) وجدا الخضر عليه السلام « نائما فى جزيرة من جزائر البحر ملتفا بكساء » [عبد بن حميد من طريق أبى العالية] وكما جاء فى رواية مسلم « مسجىً ثوبا مستلقيا على القفا » قلت وطريقة التفافه بكسائه تظهر إنه كان مستلقيا على القفا فإنه =

فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال : هل بأرضى من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بنى اسرائيل ؟ قال : نعم(٢) قال : فما شأنك ؟ قال : جئت لتعلمنى مما علمت رشدا .

قال : أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحى يأتيك .. ياموسى إن لى علما لاينبغى لك أن تعلمه وإن لك علما لاينبغى لى أن أعلمه(٣) .

فأخذ طائر(٤) بمنقاره من البحر وقال : والله ماعلمى وما علمك

= لا يتسنى لرجل أن يجعل طرفا ثوبه تحت رجليه وطرفه الآخر تحت رأسه إلا أن يكون مستلقيا على قفاه والله أعلم .

(١) وفى رواية سفيان « وأنى بأرضك السلام » بمعنى أين أو كيف .. استبعاد يدل على أن أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين .. وفى رواية أبى إسحاق عند مسلم « فكشف الثوب عن وجهه وقال وعليكم السلام » أى أنه ردّ السلام أولا ثم استفهمه أو استغربه فى هذه البقاع .

(٢) وفى رواية أبى إسحاق عند مسلم « قال : من أنت قال موسى . قال : من موسى ؟ قال موسى بنى إسرائيل » ويجمع بينهما بأن الخضر عليه السلام أعاد نفس العبارة تأكيدا ، وأخرج عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس « فقال موسى : السلام عليك ياخضر . فقال : وعليك السلام ياموسى . قال وما يدريك أنى موسى ؟ قال أدرانى بك الذى أدراك بى . لكن يبعد ثبوته مع ماسبق ذكره من روايات الصحيح (كذا قال الحافظ فى الفتح)

(٣) ووقع فى رواية سفيان ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت ... » ذلك أن الخضر عليه السلام كان يعرف من الحكم الظاهر مالا غنى للمكلف عنه ، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن مايأتيه بطريق الوحى

(٤) الطائر هو الخطّاف كما جاء عند عبد حميد فى رواية هارون بن عنترة ، وعن أبى =

فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر(١)

حتى إذا ركبا فى السفينة(٢) وجدا معابر صغاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر(٣) ... عرفوه فقالوا : عبد الله الصالح !

= حاتم من طريق السدى. وجاءت روايات أخرى عن نوع الطائر منها ما رواه عبد بن حميد من طريق أبى العالية « الطائر الذى يقال له النمر » ونقل بعض من تكلم عن صحيح البخارى أنه الصرد .

(١) جا فى شرح الإمام النووى على صحيح مسلم (١٥/ ١٤١) : قال العلماء لفظ النقص هنا ليس على ظاهره وإنما معناه أن علمى وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر هذا على التقريب إلى الافهام وإلا فنسبه علمهما أقل وأحقر . .

وروى النسائى من وجه آخر عن ابن عباس : أن الخضر قال لموسى أتدرى مايقول هذا الطائر ؟ قال : لا . قال يقول ما علمكما الذى تعلمان فى علم الله إلا مثل ما انقص بمنقارى من جميع هذا البحر .

وقوله « فأخذ طائر بمنقاره » متعلق بمحذوف وهو ركوبهما السفينة لتصريح سفيان بذكر السفينة « وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة ... » .

وفى أخذ العصفور من الماء دليل على أن الماء عذب أى ماء نهر لا ماء بحر لاستساغه شرب العصفور منه .

(٢) فى رواية سفيان « فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرا على سفينة فكلموهم أن يحملوهم » فالظاهر أنهما عادا من الجزيرة إلى الشاطىء ثانية فـ « مرت بهم سفينة ذاهب فادهم خضر » كما هى رواية ابن أبى حاتم من طريق الربيع بن أنس .

(٣) وجود المعابر الصغيرة التى تأخذ الناس من شاطىء إلى شاطىء يدلل على أنه شاطىء نهر لا بحر وهذا دليل ثان بعد دليل شرب العصفورة من الماء العذب .

قال : قلنا (لسعيد) خضر ؟ قال : نعم(١) لا نحمله بأجر(٢) فخرقها ووتد فيها وتداً (٣)

قال موسى : أخرقتها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا أمراً ، قال مجاهد منكراً(٤) قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً ـ كانت الأولى نسياناً ، والوسطى شرطا ، والثالثة عمداً(٥) ـ قال لا تؤاخذنى بما

---

(١) الجملة معترضة للتأكد من شخصية المتعّرف عليه وأنه الخضر . وفى معرفة أهل البحر للخضر دليل على قول الحسن البصرى « وُكِّل الخضر بالبحور » .

(٢) وفى رواية سفيان « فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول أى أجرة »

(٣) والتقدير أنهم ركبوا معهم ثم شرع يخرقها ويوتد فيها ، وفى رواية سفيان « فلما ركبوا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم » وللجمع بين الروايتين يقدر أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدا . وعن أبى العالية « فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسى ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك » .

(٤) تعدد معنى « إمرا » بحسب رواية الرواه ، فعند أبى حاتم عن قتادة : إمراً أى عجبا ، ومن طريق أبى صخر بمعنى عظيما .

وعند أبى حاتم من رواية الربيع بن أنس « أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضبا وشدَّ ثيابه ، وقال : أردت إهلاكهم ؟ ستعلم أنك أول هالك . فقال له يوشع : ألا تذكر العهد ؟ فأقبل عليه الخضر فقال : ألم أقل لك ؟ ... فأدرك موسى الحلم فقال : لا تؤاخذنى . وإن الخضر قال لصاحب السفينة : إنما أردت الخير ، فحمدوا رأيه وأصلحها الله على يده .

(٥) الكلام على الحوادث الثلاثة التى كانت من الخضر واعترض عليه موسى فيها ، ولعل الخضر شارط موسى عليه السلام إبتداءً على هذه الثلاث فقد روى أبى حاتم عن طريق الربيع بن أنس « قال الخضر لموسى إن عَجِلت علىَّ فى ثلاث فذلك حين أفارقك » وروى بن مردوية عن ابن عباس قال « الأولى نسيان والثانية عذر والثالثة فراق

نسيت ولا ترهقني من أمري عُسرا ، ... لقيا غلاماً فقتله(١) .. قال يعلى : قال سعيد : وجد غلمانا يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين(٢) . قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لم تعمل بالحِنث(٣)

---

(١)والتقدير كما قال الله تعالى ﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله﴾ الكهف/ ٧٤

(٢) نزل موسى والخضر عليهما السلام من السفينة وجعلا « يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما » كما هي رواية سفيان . وكان الغلام يلعب وسط « غلمان يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً »

كما هي رواية الباب . وكان الغلام « وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين » رواية عبد بن حميد لكن رواية سفيان أشارت إلى أنه قتل بطريقة أخرى « فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله . وفي رواية الطبرى « فأخذ صخرة فثلغ رأسه » ، هذا وإن كانت الروايات الأولى أصح لكن يجمع بين سائرها بأن يكون ضرب رأسه بالصخرة أولا ثم ذبحه ونصل رأسه ..

و- . مسلم من طريق أبي اسحاق « حتى إذا لقيا غلمانا يلعبون قال فانطلق إلى أحدهم بادى الرأى فقتله » أى أنه إنطلق إليه مسارعاً إلى قتله من غير فكر مما يشير إلى « وما فعلته عن أمرى » الكهف/ ٨٢

(٣) التقدير أقتلت نفسا زكية لم تعمل الحِنث بغير نفس ، وقال النووى فى شرح مسلم (١٥/ ١٤٠) قوله إذا غلام يعلب فقتله . دليل على أنه كان صبيا ليس ببالغ حقيقة وهذا قول الجمهور أنه لم يكن بالغا . وزعمت طائفة أنه كان بالغا يعمل بالفساد واحتجت بقوله « أقتلت نفسا زكية بغيرنفس » فدل على أنه ممن يجب عليه القصاص . والصبى لاقصاص عليه . وبقوله « كان كافرا » فى قراءة ابن عباس كما ذكر فى آخر الحديث .

والجواب عن الأول من وجهين أحدهما أن المراد التنبيه على أنه قتل بغير حق ، =

وابن عباس قرأها زكيةً زاكيةً(١) ـ زاكيةٍ مسلمةٌ كقولك غلاما زاكيا(٢) ـ فانطلقا(٣) فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه ـ قال سعيد : بيده هكذا ـ ورفع يده فاستقام قال يعلى : حسبتُ أن

= والثانى أنه يحتمل أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبى كما أنه فى شرعنا يؤاخذ بغرامة المتلفات .

والجواب الثانى من وجهين : أحدهما أنه شاذ لا حجة فيه والثانى أنه سماه بما يؤول إليه لو عاش كما جاء فى الرواية الثانية .

(١) قرأها ابن عباس زكيّة وهى قراءة الأكثر ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو : زاكية ، والأولى أبلغ لأن فعيلة من صيغ المبالغة .

(٢) هو تفسير من الراوى يشير به إلى القراءتين السابقتين ، وزاد سفيان فى رواية « ألم أقل لك لن تستطيع معى صبرا . قال : وهذه أشد من الأولى » وزاد مسلم من رواية أبى اسحاق « فقال النبى ﷺ : رحمة الله علينا وعلى موسى .. لولا أنه عمل لرأى العجب .. ولكنه أخذته ذمامة (استحياء) من صاحبه فقال : إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى .

ولابن مردوية عن سعيد بن جبير « **فاستحيا عند ذلك موسى وقال : إن سألتك عن شىء بعدها** » ومثل هذه الزيادة جاءت فى آخر رواية سفيان « **وددنا أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما** » .

(٣) وفى رواية سفيان « **فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية** » لكنهم كانوا « **أهل قرية لئاماً فطافا فى المجالس فاستطعما أهلها** » رواية أبى اسحاق عن مسلم . واختلف فى اسم هذه القرية فقيل : الايلة وأنطاكية وأذربيجان وبرقة وناصرة وجزيرة الأندلس .

قلت : ولعل هذا الاختلاف تفرع عن الاختلاف فى تعيين مجمع البحرين وسوف يأتى مزيد تفصيل على هذه النقطة عند معالجة النص القرآنى .

سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام[١] .. لو شئت لاتخذت عليه أجراً . قال سعيد : أجراً نأكله[٢]

وكان وراءهم ملك ، ـ وكان أمامهم ... قرأها ابن عباس أمامهم ملك[٣] ... [يزعمون عن غير سعيد أنه هُدَدُ بن بُدد . الغلام المقتول يزعمون اسمه حَيْسُورٌ][٤] ـ يأخذ كلّ سفينة غصباً[٥] ،

---

(١) فى رواية سفيان « **فوجد جداراً يريد أن ينقض . قال : مائل فقال الخضر بيده فأقامه** » وذكر الثعلبى المفسر أن عرض ذلك الجدار كان خمسون ذراعا فى مائة ذراع بذراعهم .

قلت : الأمر فى هذه الكرامة ـ على تقدير ولايته ـ واحد تطاول البنيان أمام تضاءل ، فالفاعل لكل ذلك القادر المقتدر الذى يقول للشىء كن فيكون .

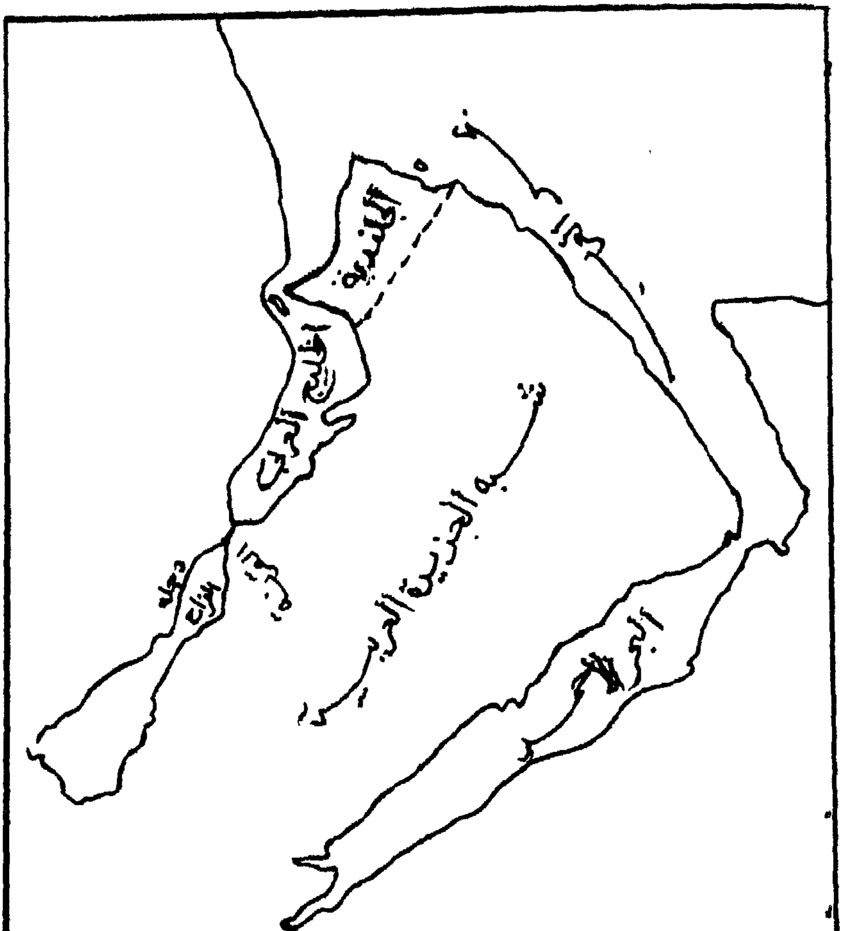
وقال النووى على مسلم (١٥/ ١٤١) : استدل الأصوليين بهذا على وجود المجاز فى القرآن وله نظائر معروفة والكلام على قوله تعالى ﴿ **يريد أن ينقض** ﴾ .

(٢) زاد سفيان فى روايته « فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا » وفى رواية أبى إسحاق عند مسلم « قال هذا فراق بينى وبينك . فأخذ موسى بطرف ثوبه فقال حدثنى » .

(٣) سيأتى بيان ذلك تفصيلا فى التفسير .

(٤) القائل بهذه الأسماء هو ابن جريج ، وقد عزاه ابن خالوية إلى هدد أحد ملوك حميّر . لكن ينقضه بُعد المدة بين موسى وسليمان . وجاء فى تفسير مقاتل : أن اسمه منولة بن الجلندى بن سعيد الأزدى قلت : رأى مُقاتل الأرجح عندى فإن السالك من شط العرب إلى الخليج العربى لابد وأن يمر على الجلندية المعروف مكانها عند رأس الخليج . وهذا على تقدير أن مجمع البحرين عند التقاء دجلة والفرات على مايأتى مفصلا فى التفسير بمشيئة الله تعالى . (راجع الخريطة)

(٥) فى رواية سفيان « وكان ابن عباس يقرأ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا » وفى رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان « وكان ابن مسعود يقرأ : كل=


الخليج العربي
شبه الجزيرة العربية

فأردت إذا هى مَرّت به أن يدعها لعيبها[١] ، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها ، ومنهم من يقول سَدُّوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار[٢] .

كان أبواه مؤمنين وكان كافراً ، « فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا[٣] . أن يحملهما حُبُّه على أن يتابعاه على دينه[٤] ، فأردنا أن يبدِّلهما رَبُّهما خيراً منه زكاة وأقرب رُحْمًا ، لقوله : أقتلت نفساً زكية ، وأقرب رحما.[٥]

= سفينة صحيحة غصبا » وفى رواية النسائى « وكان أبى يقرأ: يأخذ كل سفينة صالحة غصبا »

(١) فى رواية النسائى « فأردت أن أعيبها حتى لا يأخذها » فإذا جاوزوه رقعوها فانتفعوا بها وبقيت لهم » قال النووى على مسلم (١٥/ ١٤٤) واستدل به العلماء على النظر فى المصالح عند تعارض الأمور وأنه إذا تعارضت مفسدتان دفع أعظمهما بارتكاب أخفهما ، كما خرق السفينة لدفع غصبها وذهاب جملتها .

(٢) وقع فى رواية مسلم « وأصلحوها بخشبة » ويمكن الجمع بين الروايات بأن يكونوا سدوها بقارورة ابتداءً حتى مرت على الملك ثم شرعوا فى إصلاحها بخشبة وطليها بالقار وذلك معروف فى بناء السفن وإصلاحها .

(٣) التقدير وأما الغلام المقتول فكان أبواه مؤمنين « وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً وكان أبواه قد عطفا عليه » رواية سفيان وكذا فى مسلم .

(٤) هذه العبارة من تفسير ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير . وأخرج ابن المنذر من طريق سالم الأفطس عن سعيد بن جبير مثله .

(٥) عن بن جريج قال : خيراً منه زكاة أى إسلاماً ، وقيل دينا .

هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر ، وزعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية وأما داود بن أبى عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية (١) .

وإلى هنا انتهت تتمه المتن الذى بين أيدينا ، واستكمالا لجوانب القصة فإننا نستأنس بآخر الرواية التالية للمتن السابق من صحيح الإمام البخارى رحمه الله تعالى وهى من رواية قتيبة بن سعيد حدثنى سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير حدثنى بن عباس حدثنا أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ ... (وآخرها) .. فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ، فقال بيده(٢) هكذا فأقامه . فقال له موسى : إنا دخلنا هذه القرية فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال : هذا فراق بينى وبينك

---

(١) تواترت الروايات على إنها جارية ، فبالاضافة إلى رواية الباب جاء أنها جارية من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير ، وفى رواية الاسماعيلى من هذا الوجه ، ولعبد بن حميد من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة ، ومن طريق أبى إسحاق عن سعيد جبير عن ابن عباس قال : أبدلهما جارية فولدت نبياً من الأنبياء وللطبرى نحوه

وفى تفسير ابن الكلبى : ولدت جارية ولدت له عدة أنبياء فهدى الله بهم أمما » .

وقيل عدة من جاء من ولدها من الأنبياء سبعون نبيا .

ولابن أبى حاتم من طريق السدى ، قال : ولدت حارية فولدت نبيا وهو الذى كان بعد موسى فقالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله . واسم هذا النبى شمعون ، واسم أمه حنه .

(٢) أشار بيده ، وقيل مسحه بيده ، والأول أجود

سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا . فقال رسول الله ﷺ : وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما(١) .

قال : وكان بن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وأما الغلام فكان كافراً .

---

(١) تقدم فى كتاب أحاديث الأنبياء عن سفيان مثله ولكن بزيادة قبلها « يرحم الله موسى ... » وكذا فى كتاب العلم عنه ، فيحتمل أن يكون سمعه مرتين ، مرة بإثباتها ومرة بحذفها وهو أولى . فقد أخرجه مسلم عن إسحاق بن راهوية وعمرو بن محمد الناقد وابن أبى عمر وعبيد الله بن سعيد والترمذى عن أبى عمر كلهم عن سفيان بلفظ « يرحم الله موسى ... إلخ »

ولمسلم عن أبى اسحاق عن سعيد بن جبير بزيادة فى آخره « ... ولو صبر لرأى العجب وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه رحمة الله علينا وعلى أخى كذا ... »

قال النووى رحمه الله (١٥/ ١٤٤) شرح مسلم .

قال أصحابنا : فيه استحباب ابتداء الانسان بنفسه فى الدعاء وشبهه من أمور الآخره وأما حظوظ الدنيا فالأدب فيها الإيثار وتقديم غيره على نفسه .

الفصل الرابع

حديث القرآن عن الخضر عليه السلام

وبعد أن شرفنا الحق عز وجل بصحبة الأنفاس المحمدية الطاهرة الزكية وهى تجلى لنا غوامض من سيرة الخضر عليه السلام فقد آن وقت الإرتواء من منهل القرآن الكريم وهو يحدثنا عن بدائع من حِكَمِ الله الجليل جل جلاله ــ فى خصوص تلك السيرة العطرة .

وطلبا لمزيد من بواطن العجب ومواطن الحكم فى القصص الكريم وجب علينا أن نستمع إلى من آتاهم الله التأويل وهم رجال تكاملت معارفهم وعلومهم وتنورت بواطنهم وقلوبهم وشرفت أرواحهم وأسرارهم بالتصدى لتأويل كتاب الله العزيز فكان تأويلهم واستنباطهم بقوة قدسية مكسواً بأنوار التأييد الإلٓهية .

ولسوف نحاول من خلال شرح الآيات أن نجمع بين تفسير الراوية والدراية غير متغافلين عن قبسات أهل الإشارة المحكمة ممن فتح الله قلبه ورزقه الذوق والعرفان ، ولعلنا بذلك نكون قد وفقنا إلى جمع متميز لتأويل أئمة التفسير رضى الله عنهم .

وهذا أوان الشروع فيما قصدناه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال تعالى : ﴿ وإذا قال موسى لفتاه﴾[1]

﴿ لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ﴾[2]

---

(١) الكهف/ ٦٠ . (وإذ) نصب على المفعولية . والتقدير إذكر يا محمد حينما قال موسى الكليم لفتاه يوشع بن نون ابن افرائيم بن يوسف عليه السلام :

ولد فى حدود ١٤٦٧ ق . م وتوفى فى حدود ١٣٥٣ ق .م . وهو ابن أخت موسى عليه السلام ، وهو أحد الرجال الإثنى عشر الذين بعثهم موسى عليه السلام ليتجسسوا على الجبارين فى أرض كنعان ليختبروا بأس أهلها وخيرات أرضها . وهو أحد الرجلين المعنيين فى قوله تعالى : ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ فالأول هو يوشع والثانى كالب بن يوقنا وكان موسى عليه السلام قد قرب يوشع إلى نفسه واتخذه تلميذا وخادما ، ومات موسى بعد هارون عليهما السلام ـ بسنة على الأصح فى أرض التيه فى صحراء سيناء ، ونبيء يوشع بعد وفاة موسى عليه السلام وعهد إليه بتدبير أمر الأمة اليهودية وأمر بقتال الجبارين ، فسار بمن تبقى معه إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق وأحاط بالمدينة ستة أشهر وفتحوها فى الشهر السابع ، وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فقال : اللهم اردد الشمس عليَّ وقال للشمس إنكِ فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين . روى أحمد بسنده إلى رسول الله ﷺ : « إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس » ثم تتبع ملوك الشام فقتل منهم واحداً وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام ودبّر أمر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وعمر مائة وعشر من السنين . راجع الصاوى على الجلالين ـ تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور .

(٢) لاأبرح : لا أزال أسير ، ومنه قوله تعالى ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ ، وقيل لا أفارقك والمعنى الأول أوفق . الشوكانى فتح القدير (٣/ ٢٩٧)

مجمع البحرين : متلقاهما =

= لكن هل يمكن تحديد البحرين ؟ وأين إذا مجمعهما ؟

أقول قد ورد فى ذلك عدة أقوال منها : (كما جاء فى القرطبى وغيره)

١ – هما بحرا فارس (الخليج العربى) والروم (البحر المتوسط) قاله قتاده ومجاهد والربيع بن أنس .

٢ – هما بحرا الأردن والقلزم (الأحمر)

٣ – مجمع البحرين عند طنجه (تشرف على مضيق جبل طارق احدى بلاد المملكة المغربية) قاله محمد بن كعب

٤ – إنه بإفريقية قاله أُبىّ بن كعب ولم يحدده .

٥ – هو بحر الأندلس من البحر المحيط » حكاه النقاش .

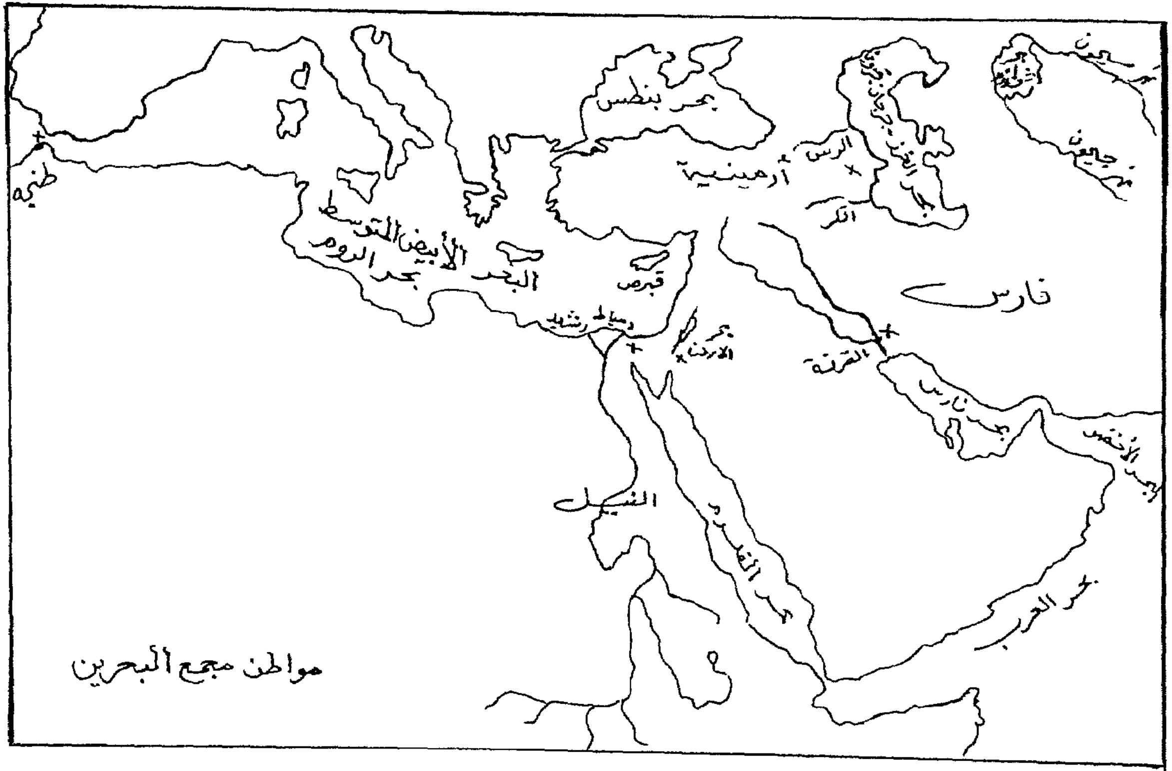
٦ – زراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب فى أرض فارس من وراء أذربيجان .. قاله ابن عطيه .

٧ – بحر الروم (الأبيض) وبحر القلزم (الأحمر) ومجمعها فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر الأحمر . قاله سيد قطب فى الظلال .

٨ – فى مكان ما من أرض فلسطين الأظهر أنه مصب نهر الأردن فى بحيرة طبرية . قاله محمد الطاهر بن عاشور فى التحرير والتنوير .

٩ – هما نهرا الكرّ والرّسّ ١٠ – مجمع البحرين هما موسى والخضر عليهما السلام لأنهما بحرا علم . روى عن ابن عباس لكنه ضعيف وغير ثابت ولا يصح فإن الأمر بيِّنٌ من الأحاديث أن الله عز وجل وَسَمَ للخضر عين ماء فلا معنى للعدول عن الحقيقة إلى المجاز . (راجع الخارطة)

وباستعراض جملة الأقوال السابقة – عدا الأخير – يمكن أن نستخلص جملة الحقائق التالية : =



مواطن مجمع البحرين

....

= ١ – جاءت بعض الأقوال (١ ، ٢ ، ٧) بذكر بحار لا تلاقى بينها اللهم إلا فى البحر المحيط وهو عكس مفهوم « مجمع البحرين » إلا أن نتعسف فى التأويل ونقول « المراد مكان يقرب التقاؤهما فيه » .

٢ – من دقق فى أقوال تلاقى بحرين كما فى (٥) حقق أن التلاقى لا على مفهوم الاجتماع ودخول ماء فى ماء بزيادة بل هو مجرد ماء واحد يجرى بين حوضى بحرين ليس إلا .

٣ – أما من قال إنه بافريقية (٤) فلا بينه فيه لأنه لم يتناوله تحديدا فهو كعدمه .

والراجح عندى أن مجمع البحرين مكان التقاء نهرين لا بحار مالح ماؤها وذلك للأسباب التالية :

(أ) ما جاء فى روايات البخارى ومسلم وغيرها « وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين »

ولا يشرب عصفور إلا من ماء عذب مما يدل على أنهما ركبا فى النهر ، فخرج بالتالى كل ما روى عن أن مجمع البحرين فى البحار المالحة .

(ب) ما جاء فى رواية البخارى (٣/ ١٥٥) « حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معابر صعاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر » مما يعنى ويفيد تقارب الشطآن بالإضافة إلى أن المعابر الصغار لا تقوى على أمواج البحار فترجح أن يكونا ركبا عند مجمع نهرين لا مجمع بحرين .

(ج) ما جاء فى أنهما ركبا سفينة لا معبرة صغيرة تعنى أن السفن الكبيرة القادرة على شق البحار لها مخرج من مياه هذين النهرين إلى البحر .

ومن هذه الدلالة وما سبقها من حديث على ماء البحر خرج القول (٨) الذى يرجح أن الملتقى عند مصب نهر الأردن فى بحيرة طبريّة فهى شديدة الملوحة ولا مخرج لها إلى بحر حقيقى ولا مكان فيها للسفن الكبيرة بل ولا جزر فيها يمكن أن يتقابل فيها موسى مع الخضر (كما أخبرنى أهل العلم بها) . =

= والراجح أنّ الكليم عليه السلام لم يدخل أرض فلسطين والتحق بالرفيق الأعلى عز وجل وهو بأرض التيه بسيناء كما مر ذكره فى ترجمة يوشع بن نون (فتاه)

(د) إذا ترجح لدينا أن الأولى اعتماد القول بأنه محل اجتماع انهار انحصر القول فى :
١ - أنهما الكروالرس بأرمينيا لكنهما وإن كانا نهرين فإنهما لا يلتقيان وهم أبعد ما يكونا عن منطقة مسرح أحداث النبوة والأنبياء بالمنطقة العربية . بالإضافة إلى أنهما نهران صغيران بخلاف ما جاء فى علامات هذا المجمع فيما رواه بن جرير بسنده إلى بن عباس عن أبى كعب قال « حتى إذا انتهى إلى مجمع البحرين وليس فى الأرض مكان أكثر ماء منه » .

ومحل الشاهد فى أكثرية مائه لاجتماع نهرين وتكاثر ماءهما ، كما أن ماء البحر لا يتمايز بكثرة الماء وقلته

٢ - أنهما عند نهر النيل لكنه ينقسم إلى فرعين رشيد ودمياط فماؤه إذن محل تقسيم وافتراق وقلة لا محل إجتماع وزيادة وكثرة ويعارض ما سبق من حديث أكثرية مائه .

٣ - أنهما نهرا دجلة والفرات ومحل التقائهما عند بلدة تسمى (القرنة) وذلك لاقتران النهرين سويا فى مجرى واحد يعرف حاليا بشط العرب الذى يصب بدوره فى الخليج العربى .

وهذا الاختيار الأخير المترجح عندى لاجتماع النهرين وزيادة ماؤهما وخروجه إلى البحر المحيط وغيره مما سبق ذكره والله أعلى وأعلم .
ومن إشارات أهل الحكمة على الآية :

اجتمع البحران بمجمع البحرين

ففى الآية إشارة إلى أن موسى والخضر عليهما السلام بحران لكثرة علمهما فموسى عليه السلام بحر الظاهر والباطن والغالب عليه الظاهر أى الشريعة .

والخضر عليه السلام بحر الظاهر والباطن والغالب عليه الباطن أى الحقيقة . =

... ﴿ أو أمضى حقبا ﴾[1]

ومن فقه هذه الآية واشاراتها :

رحلة العالم فى طلب الازدياد من العلم ، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب ، واغتنام لقاء الفضلاء وإن بعدت أقطارهم ، وذلك كان دأب السلف الصالح ، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح ، وحصلوا على السعى الناجح ، فرسخت لهم فى العلوم اقدام ، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام . قال البخارى : ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث[2]

وقال صاحب روح البيان[3] : قال الإمام فى تفسيره :

= إذا الأنبياء عليهم السلام تتفاوت أحوالهم بحسب غلبة الجمال والجلال على شأنهما .

وقيل أيضا : ما أنسب التوقيت بمجمع بحرى الماء بمجمع بحرى العلم ، وترودهما بالنون الذى قرنه الله بالقلم وما يسطرون ، وعين الحياة لأن العلم حياة القلوب .

نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى (١٢/ ٩٦)

(١) أو أصل سفرى زمانا طويلا أتيقن معه فوات المجمع

والحقب فى اللغة : هو زمان من الدهر مبهم غير محدد (١١/ ١١) - القرطبى - وكذا القاموس وقال مجاهد الحقب سبعون خريفا . (١/ ٣٧٨) تفسير مجاهد . وقيل غير ذلك .

(٢) تفسير القرطبى (١١/ ١١)

(٣) روح البيان (١٥/ ٢٦٤)

هذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم فى السفر لأجل طلب العلم وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سار من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك .

قال فى روضة الخطيب : رجل جاء من المدينة إلى مصر لحديث واحد ؟ ولذا لم يُعُد أحداً كاملاً إلا بعد رحلته ولا وصل إلى مقصده إلا بعد هجرته .

وقالوا : كل من لم يكن له استاذ يصله بسلسلة الأتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له ، دعىّ لا نسب له . أهـ ومن كلام أبى يريد البسطامى قدس سره(١) : من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان .

وقال فى التأويلات النجميّة : فى الآية إشارات :

● منها أن شرط المسافر أن يطلب الرفيق ثم يأخذ الطريق .

---

(١) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى يعد من أكابر العارفين ومن رؤوس الزاهدين تكلم فى دقائق المعارف فأنكر الناس عليه وأنّى لأمىٍّ أن يدرك كلام العارف العارف ؟ دخل عليه أحدهم فقال يا أبا يزيد علمك هذا عمن وممن ومن أين ؟ فقال رحمه الله تعالى : علمى من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله ﷺ : **من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم** . ومن كمال محبته الله تعالى أن يحيى بن معاذ كتب إليه : إنى سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ! فكتب أبو يزيد : غيرك شرب من بحور السماوات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج يقول : هل من مزيد ؟!! وعن أصول سيره إلى الله قال : رأيت رب العزة فى النوم فقلت يارب كيف أجدك ؟ فقال : فارق نفسك وتعالى إلىّ وكان يقول عرفت الله بالله وعرفت مادون الله بنور الله توفى رضى الله عنه سنة احدى وستين ومائتين . الطبقات الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعرانى .

● ومنها أن من شرط الرفيقين أن يكون أحدهما أميراً والثانى مأموراً له ومتابعا .

● ومنها أن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده ويخبر عن مدة مكثه فى سفره ليكون الرفيق واقفا على أحواله فإن كان موافقا له يرافقه فى ذلك .

● ومنها أن شرط الطالب الصادق أن تكون نيته فى طلب شيخ يقتدى به ألا يبرح حتى يبلغ مقصوده ويظفر به فإن طلب الشيخ طلب الحق تعالى على الحقيقة . أهـ

« **فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا** » « فلما بلغا » الفاء فصيحة أى فذهب موسى ويوشع يمشيان فلما بلغا[1] « مجمع بينهما » بين البحرين

« نسيا حوتهما » الذى جُعل فقدانه أمارة وجدان المطلوب . أى نسى موسى تذكر الحوت لصاحبه ، وصاحبه نسى الإخبار بأمره فلا يخالفه ماق الصحيحين مں اسناد النسيان إلى صاحبه[2] . ولأنهما جميعا تزوداه نسب النسيان إليهما كما يقال : نسى القوم زادهم وإنما نسيه أحدهم[3] .

وحيى الحوت فسقط فى البحر « فاتخذ » الحوت « سبيله » أى طريقه « فى البحر سربا » أى مسلكا[4] حيث جمد الماء فصار

---

(١) روح المعانى للألوسى (١٥/ ٣٢٤) وروح البياں لاسماعيل حقى (١٥/ ٢٦٤)

(٢) روح البياں (١٥/ ٢٦٥)

(٣) زاد المسير ابن الجورى (٥/ ١٦٥)

(٤) تفسير مجاهد

كالسرب قال ابن عباس : جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون كالصخرة . وجمهور المفسرين أن الحوت بقى موضع سلوكه فارغا ، وأن موسى مشى عليه متبعا للحوت ، حتى أفضى به الطريق إلى جزيرة فى البحر ، وفيها وجد الخضر(١) .

وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما وجد الخضر فى ضفة البحر وقد سبق لنا بيان توجيه ذلك وشرحه تفصيلا فى شرح حديث البخارى(٢) . بما يتطابق وما عليه جمهور المفسرين .

﴿ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ « **فلما جاوزا** » مجمع البحرين وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان الغد ألقى الله على موسى الجوع ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه فعند ذلك « **قال لفتاه آتنا غداءنا** » أى طعامنا(٣) الذى

---

(١) القرطبى (١١/ ١٢)

(٢) راجع المعالجة الحديثية

(٣) اختلف فى الزاد الذى تروداه لمسيرهما :

ـ قال ابن عباس كان حوتا مملوحا فى زنبيل (قُفَّة) وكانا يصيبان منه غداءً وعشاء . روح البيان (١٥/٢٦٥)

ـ وقال أبو العباس شيخ القرطبى : إنما كان الحوت دليلاً على موضع الخضر لقوله فى الحديث « احمل معك حوتا فى مكتل فحيث فقدت الحوت فهو ثمَّ » وعلى هذا يكونا ترودا شيئا آخر غير الحوت . القرطبى (١١/١٤١٣) والظاهر والله أعلم أن الرأى الأخير هو الأقرب للقبول نظراً لأن :

١ - الحوت خصص لمهمة محددة وهى التعرف على مكان الخضر عليه السلام فكيف يفرط بأكله مع تقدير طول المسافة « أو أمضى حقبا » وما كان الحوت ليكفيهما لو طالت المسافة ولو جىء بمثله عددا =

يؤكل بالغداة (أول النهار) « **لقد لقينا من سفرنا هذا** » الذى جاوزنا فيه المكان[1] عند مجمع البحرين لا كل السفر من مبتدئه إلى منتهاه . ففى البخارى « ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به » . « **نصبا** » تعباً واعياءً[2] .

قال القرطبى : وفى هذا دليل على جواز الأخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض ، وأن ذلك لا يقدح فى الرضا والتسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط[3] .

﴿ قال أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا ﴾

= ٢ - أن الأكل من الحوت لم يرد فى خبر صحيح نقطع به ، وما جاء فى كتب التفسير عن رؤية أسماك قد ذهب شقها الأيسر نسبوها إلى سلالة ذلك الحوت ، فلو سلمنا بوجودها فإن ذلك لا يعنى أن لها اتصالا صحيحا جازما بحوت نبى الله موسى عليه السلام .

٣ - أن علة تذكر الحوت بتذكر الجوع والنصب يمكن أن تنصرف إلى غير التزود منه على أساس أن اتخاذ الحوت زاداً للدلالة على الخضر بجانب اتخاذ أصل الزاد للطعمة والمؤونة فناسب تذكر الزاد الثانى تذكر الأول . والله أعلم .

٤ - لا يمنع أن يكون قد خصصا حوتاً للدلالة على الخضر عليه السلام وأسماكاً أخرى للطعام وبذلك تتوافق الأراء والله أعلم .

(١) مختصر ابن كثير (٤٢٧/٢) .

(٢) فتح القدير من علم التفسير ـ الشوكانى (٢٩٨/٣) ـ روح المعانى ـ الألوسى (٣١٦/١٥)

(٣) القرطبى (١٤/١١)

« **قال** » يوشع « **أرأيت** » أى أعرفت مادهانى ونابنى فى ذلك الوقت والمكان من عجيب صنع الله وقدرته الباهرة فى أمر الحوت . « **إذا أوينا إلى الصخرة** » عندما وصلنا إلى مجمع البحرين واسترحنا إلى جوار الصخرة « فإنى نسيت الحوت » أن أخبرك بخبره وما كان من أمر حياته وسلوكه فى البحر . ثم اعتذر بإنساء الشيطان إياه فقال « **وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** » فإنه يغطى على الأحداث بوسوسته الشاغلة وقيل أن موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله تعالى عن قبل صاحبه هذا العلم الضرورى تنبيها لموسى عليه السلام أن العلم لايحصل إلا بتعليم الله تعالى وحفظه على القلب والخاطر .

وقيل أيضا : إن موسى لما عهد إلى يوشع بأمر إبلاغه عن الحوت حين يفقده قال له يوشع ماكلفت كثيرا واستسهل الأمر ولم يظهر فيه الالتجاء إلى الله تعالى بأن يقول : أخبرك إن شاء الله(١) . وفى الحديث « اللهم لاسهل إلا ماجعلته سهلا وأنت تجعل الصعب إذا شئت سهلا » .

« **واتخذ سبيله فى البحر عجبا** » أى سلك الحوت طريقه فى البحر بآية عجيبة حيث صار لايمس شيئا من الماء إلا جمد فصار سربا مثل الطاق ، والآية تحتمل أن يكون المخبر عن ذلك (يوشع) هو المتعجب كما تحتمل أن يكون موسى عليه السلام الذى اتخذ سبيله فى البحر وراء الحوت هو المتعجب ، كما تحتمل أن يكون مطلق الخبر من الله تعالى عن ذلك الأمر(٢) .

(١) روح المعانى الألوسى (٣١٧/١٥) . روح البيان اسماعيل حقى (٢٦٦/١٥)

(٢) زاد المسير فى علم التفسير ابن الجوزى (١٦٦/٥ ١٦٧)

وفى الآية إشارات :

منها أن الطالب الصادق إذا قصد خدمة شيخ كامل يسلكه طريق الحق يلزمه مرافقة رفيق التوفيق لما كان حوت قلبه الميت بالشهوات النفسانية المملح بملح حب الدنيا وزينتها .

ومجمع البحرين : كالولاية بين الطالب وبين الشيخ ولن يظفر المريد بصحبه الشيخ مالم يصل إلى مجمع ولايته فافهم .

وعند مجمع الولاية : عين الحياة الحقيقية وبأول قطرة من تلك العين تقع على حوت قلب المريد فيحيى ويتخذ سبيله فى البحر سربا .

ومنها أن الله يحول بين المرء وقلبه فينسى المريد قلبه حين فقده وينسى القلب المريد إذا وجد الشيخ والله أعلم . وهذه من نفائس الحكم

ومنها أن صحبة الشيخ المرشد غذاء للمريد لاشتمالها على مايجرى مجرى الغذاء للروح من الأقوال الطبيعية والأفعال الحسنة ومتى حاوز صحبته أتعب نفسه بلا فائدة الوصول وبيل المقصود ولا يحمل على هذا إلا شيطان الخذلان فيلزم الرجوع والعود إلى ملازمة الخدمة فى مرافقة رفيق التوفيق كما رجع موسى ويوشع عليهما السلام قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ نسأل الله العصمة والتوفيق(١) .

---

(١) روح البيان اسماعيل حقى (١٥/٢٦٦ - ٢٦٧)

﴿ قال ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾

﴿ قال ذلك ماكنا نبغ ﴾ هذا الذى كنا نطلب فلنسارع بالرجوع إلى تلك الصخرة فإن الرجل الذى جئنا له ثَمّ « **فارتدا** » فى نفس الطريق الذى أُتيَا منه « **على آثارهما قصصا** » يقصان آثار مشيهما ويقفوان أثرهما . حتى وصلا إلى مجمع البحرين عند الصخرة فوجدا الحوت قد اتخذ مسلكه فى البحر سربا فسار موسى عليه السلام وراءه على ذلك الماء الجامد فى البحر متعجبا من عظيم صنع الله وتقديره .

ويبدو أن مسيره فى البحر كان يسيرا يدل عليه رواية الصحيح « فحيث مافقدت الحوت فهو ثَمَّ » أى هناك فى موضع قريب .

﴿ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ فوجدا عبداً التنكير للتفخيم والعبد هو الخضر عليه السلام فى قول الجمهور ، وبمقتضى الأحاديث الثابتة الصحيحة وخالف من لا يعتد بقوله[1] .

« **من عبادنا** » الإضافة للتشريف والاختصاص أى عبداً جليل الشأن ممن اختص بنا وشرف بالاضافة إلينا[2] وكان الخضر عليه السلام إذا ذاك مسجى بثوب فسلم عليه موسى وأفاد أنه جاء للتعلم والاستفادة كما سبق ذكره .

---

(١) أطبق جمهور المفسرين على ذلك والنص للقرطبى (١٦/١١) وللشوكانى بنحوه (٢٩٩/٣) . راجع الباب السابق المعالج لهذا القصص بالأحاديث .

(٢) روح المعانى (٣٢٠/١٥)

وهذا العبد الملقب بالخضر كنيته أبو العباس وأسمه بليا بن ملكان بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل فى الفصل الأول .

لكن اختلف فى تعميره واختلف فى نبوته وولايته ، أما بالنسبة لتعميره فقال ابن كثير « وأما الخلاف فى وجوده إلى زماننا هذا فالجمهور على أنه باق إلى اليوم قيل لأنه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فنالته دعوة أبيه آدم بطول الحياة وقيل لأنه شرب من عين الحياة فحيَّ[1] .

وقال الإمام النووى رحمه الله تعالى :

جمهور العلماء على أنه حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر أن يحصر وأشهر من أن يستر[2] .

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح :

هو حى عند جماهير العلماء والصالحين ، والعامة معهم فى ذلك وإنما شذ بانكاره بعض المحدثين[3] .

وسيأتى مزيد تفصيل فى هذه المسألة بمشيئة الله تعالى .

أما بالنسبة لكونه نبى أم ولى فجمهور العلماء على أنه نبى غير

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية (٣٠٦/١)
(٢) شرح صحيح مسلم النووى (١٣٦/١٥)
(٣) شرح صحيح مسلم النووى (١٣٧/١٥)

مرسل وهو عند المحققين ولى غير نبى[1] وقيل مقامه دون النبوة وفوق الصديقية فهو مقام برزخى له . (ذكره القاسمى المفسر) وكل له حجته وسيأتى مزيد تفصيل فى هذه المسألة أيضا .

ومن نفائس ماقيل فى تأويل تلك الآية ماجاء فى التأويلات النجمية :

﴿ **فوجدا عبدا من عبادنا** ﴾ أى حراً من رق عبودية غيرنا ، ﴿ **من عبادنا** ﴾ من أحرارنا أى ممن حررناهم من رق عبودية الأغيار واصطفيناهم من الأخيار ﴿ **آتيناه رحمة من عندنا** ﴾ يعنى جعلناه قابلا لفيض نور من أنوار صفاتنا بلا واسطة ﴿ **وعلمناه من لدنا علما** ﴾ وهو علم معرفة ذاته وصفاته الذى لايعلمه أحد إلا بتعليمه إياه .

﴿ **آتيناه رحمة من عندنا** ﴾الرحمة فى هذه الآية النبوة[2] كما يشعر تذكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء ، قال الإمام مسلم : أن النبوة رحمة كما فى قوله تعالى ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك**﴾ ونحوه وأجاب آخرون ممن قال بولايته وعدم نبوته بأنه لايلزم أن تكون الرحمة نبوة والرحمة هنا طول العمر[3] . وقال آخرون الرحمة هى النعمة[4]

---

(١) روح البيان (٢٦٨/١٥)
(٢) القرطبى (١٦/١١) وقد ترادف على ذكر ذلك كثير من المفسرين .
(٣) روح البيان (٢٧٠/١٥)
(٤) القرطبى (١٦/١١) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٩/٥)

« **وعلمناه من لدنا علما** » أى علما لا يُكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب وأسرار العلوم الخفيّة[1] . قال ابن عطية : كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه ، لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم[2]

وفى التعبير بـ (علمناه) من الاشارة إلى تعظيم أمر هذا العلم مافيه وفى قوله (من لدنا) أى علما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا ، وذلك لأن العلم من أخص صفاته تعالى الذاتية[3] .

وهذا التعليم من الله يحتمل أن يكون :

(١) بواسطة الوحى المسموع بلسان الملك وهو القسم الأول من أقسام الوحى الظاهر كما وقع نبينا ﷺ فى اخباره عن الغيب الذى أوحاه الله تعالى إليه فى القرآن الكريم .

(٢) القسم الثانى المسمى الإلهام أو النفث بواسطة الوحى الحاصل بإشارة الملك من غير بيان بالكلام . كما جاء فى الحديث « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله تعالى وأجملوا فى الطلب » .

وكقول الله تعالى ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه** ..﴾ ولم تكن بنبيه وهذا النوع للأنبياء عليه السلام ولغيرهم بالإجماع .

---

(١) روح المعانى الألوسى (١٥/٣٣٠) وعليه أطبق المفسرون .
(٢) القرطبى (١١/١٦)
(٣) روح المعانى الألوسى (١٥/٣٣٠) بتصرف

والآية عند المحققين أصل فى إثبات العلم اللدنى الذى يطلق عليه أيضا بالعلم الباطن أو علم الحقيقة ووجه ذلك أنه غير ظاهر على أكثر الناس ويتوقف حصوله على القوة القدسية دون المقدمات الفكرية(١) قال العارف بالله الشيخ الإمام عبد الوهاب الشعرانى : وأما زبدة علم التصوف الذى وضع القوم فيه رسائلهم فهو نتيجة العمل بالكتاب والسنة فمن عمل بما علم تكلم بما تكلموا وصار جميع ماقالوه بعض ماعنده لأنه كلما ترقى العبد فى باب الأدب مع الله تعالى دق كلامه على الأفهام حتى قال بعضهم لشيخه : إن كلام أخى فلان يدق علىَّ فهمه فقال : لأن لك قميصين وله قميص واحد فهو أعلى مرتبة منك . وهذا الذى دعا الفقهاء ونحوهم من أهل الحجاب إلى تسمية علم الصوفية بالعلم الباطن وليس ذلك بباطن إذ الباطن إنما هو علم الله تعالى وأما جميع ماعلم الخلق على اختلاف طبقاتهم فهو من العلم الظاهر لأنه ظهر للخلق فاعلم ذلك(٢) .

وسوف نبسط القول فيما بعد فى هذا البحث إن شاء الله تعالى .

---

(١) روح المعانى الألوسى (١٥/٣٣٠) بتصرف

(٢) الدرر المنثورة فى بيان زبدة العلوم المشهورة . للإمام أبو المواهب عبد الوهاب الشعرانى ينتهى نسبه إلى محمد بن الحنفية بن سيدنا على بن أبى طالب كرّم الله وجهه . ولد ببلدة (قلقشندة) ونشأ بقرية (ساقية أبو شعرة) بمحافظة المنوفية فلذا لقب بالشعرانى . طلب العلم صغيرا وتتلمذ للجلال السيوطى وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى واللقانى والرملى والسمنودى وغيرهم حتى غدا بحرا زاخرا وسلك الطريق على يد إمام وقته سيدى على الخواص رضى الله عنه فظهرت عليه أمارات الفتح وسمات المنح فأصبح إمام عصره علما وذوقا وتوفى ٩٧٣ هـ .

﴿ **قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلمت رشدا** ﴾

سبق أن علمنا أن موسى عليه السلام سلم على الخضر وتعارفا ولربما سأل سائل عما جرى بعد من حديث « **قال له موسى** » على وجه الاستجازة والاسترشاد وحسن الأدب .

« **هل أتبعك** » هل تأذن لى بصحبتك أيها المؤيد الكامل المتحقق بمراتب اليقين بتمامها ، الواصل إلى بحر الحقيقة الخائض فى لجحها .

« **على أن تعلمنى** » على شرط أن تعلمنى وتفيد لى « **مما علمت** » وأُلهمت من سرائر(١) الغيبيات سوابقها ولواحقها « **رشدا** » علما ذا رشدا أرشد به فى دينى وأصيب به الخير ولعل طلبه التعليم كان بالأمر ابتلاءًا له بسبب تلك الفلتة(٢) ، وقد ذكروا أن الكامل كلما كان صعوده أعلا كان هبوطه أنزل ، وكلما كان هبوطه أنزل كان فى الارشاد أكمل فى الإفاضة وأتم ، لمزيد المناسبة حينئذ بين المرشد والمسترشد(٣) وكل منهما أعلم من صاحبه من وجه لكن لما كان الكلام خارجا مخرج العتب والتأديب أخرج على وجه ظاهرة العموم(٤)

ونقل الإمام الفخر الرازى(٥)تعقيبا نفيساً على الآية فقال :

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية للعارف بالله نعمة الله بن محمود النخجوانى (١/ ٤٨٥)

(٢) وذلك حينما سئل هل تجد من هو أعلم مىك ؟ قال : لا . ولم يقل الله أعلم .

(٣) الألوسى (١٦/ ٢٠)

(٤) الألوسى (١٥/ ٣٣٢)

(٥) التفسير الكبير . الفخر الرازى (٢١/ ١٤٨ وما بعدها) بتصرف .

أعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر :

١ - أنه جعل نفسه تبعا له لأنه قال (هل أتبعك)

٢ - أنه استأذن فى إثبات هذه التبعية فإنه قال هل تأذن لى أن أجعل نفسى تبعا لك وهذا مبالغة عظيمة فى التواضع .

٣ - أنه قال (على أن تعلمنى) وهذا اقرار له على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم .

٤ - أنه قال (مما علمت) وصيغة من للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ماعلمه الله ، وهذا أيضا مشعر بالتواضع كأنه يقول له لا أطلب منك أن تجعلنى مساويا فى العلم لك ، بل أطلب منك أن تعطينى جزأ من أجزاء علمك ، كما يطلب الفقير من الغنى أن يدفع إليه جزأ من أجزاء ماله .

٥ - أن قوله (مما علمت) اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم .

٦ - أن قوله (رشداً) طلب من الارشاد والهداية ، والارشاد هو الأمر الذى لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال

٧ - أن قوله (تعلمنى مما علمت) أنه طلب منه أنه يعامله بمثل ماعامله الله به وفيه اشعار بأن يكون إنعامك علىَّ عند هذا التعليم شبيها بإنعام الله تعالى عليك فى هذا التعليم ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه حرفا .

٨ - قوله (هل اتبعك) يدل على أنه يأتى بمثل أفعال ذلك

الاستاذ لمجرد كون ذلك الأستاذ آتيا بها ، وهذا يدل على أن المتعلم يجب عليه فى أول الأمر التسليم وترك المنازعة والاعتراض .

٩ – أن قوله (أتبعك) يدل على طلب متابعته مطلقا فى جميع الأمور غير مقيد بشيء دون شيء .

١٠ – قوله (هل أتبعك) على أن تعلمنى فأثبت كونه تبعا له أولا ثم طلب ثانيا أن يعلمه وهذا منه ابتداء بالخدمة ثم فى المرتبة الثانية طلب منه التعليم . ا هـ .

قال قتادة : لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى ولكنه قال : أتبعك) الآية .

وقال الزجاج : وفيما فعل موسى وهو من أجلّه الأنبياء من طلب العلم والرحلة فى ذلك مايدل على أنه لا ينبغى لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته .

وقال العلماء : ولا ينافى نبوة موسى وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبى آخر مالا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفيّة وقد أمره الله بأخذ العلم منه .

وقال شيخى وسندى روّح الله روحه(١) : تعليم موسى وتربية بالخضر (إنما هو من قبيل تعليم الأكمل وتربيته بالكامل لأنه تعالى قد يطلع الكامل على أسرار يخفيها عن الأكمل وإذا أراد أن يطلع الأكمل عليها أيضا فقد يطلعه بالذات وقد يطلعه بواسطة الكامل ولا يلزم من توسط الكامل أن يكون أكمل من الأكمل أو مثله .

---

(١) روح البيان (٢٧٤/١٥)

والكامل كامل مطلقا والأكمل أكمل مطلقا والرجحان للأكمل جدا ولا تسمع إلى غير ذلك مما يقول الضالون .

وقول الخضر لموسى عليه السلام ياموسى أنت على علم علمك الله وأنا على علم علمنى الله ، إنما هو بناء على الامتياز المعتبر بينهما بحسب الغالب فى نشأة كل منهما وإلا فالعلم الظاهر والباطن حاصلان فى نشأة كل منهما . أهـ .

وفهم منه جواب ماسبق قوله : إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك ، فإن المراد إثبات أعلميته فى علم من العلوم الخاصة دون سائرها ، وقد انعقد الاجماع على أن نبينا عليه السلام أعلم الخلق وأفضلهم على الاطلاق وقد قال (أنتم أعلم بأمور دنياكم)

﴿ قال إنك لن تستطيع معى صبرا ﴾

﴿ قال إنك ﴾ ياموسى مع كمال حذاقتك فى ظواهر العلوم المتعلقة بوضع القواعد الدينية ونصب المعالم الشرعية وانتصاف الظالم من المظلوم إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بسياسة البلد وتدبير المدن والمنزل **﴿ لن تستطيع معى صبرا ﴾** فلن تطق أن تصبر على ماتراه من علمى لأن الظواهر التى هى علمك لاتعطيه بل لابد لك متى اطلعت على شىء يخالف الشرعية والوضع المخصوص الذى جئت به من عند ربك ونزلت التوراه على مقتضاه لزم عليك أن تمنعه وتعترض عليه بمقتضى نبوتك ورسالتك على سبيل الوجوب ، والذى أنا عليه

من العلوم المتعلقة بالسرائر والغيوب قد يخالف أصلك وقواعدك فلن تستطيع معى صبرا[١]

والأصل فى ذلك أن المتعلم قسمان : متعلم ليس عنده شيء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ماألقى إليه ، ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم غير أنه يريد أن يزداد علما على علمه ، وهذا تعليمه شاق شديد لأنه إذا رأى شيئا أو سمع كلاما عرضه على ماعنده فإن وافقه وإلا ناقش فيه[٢]

ثم اعتذر وبسط العذر معللا ﴿ **وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا** ﴾ أى من أمور ستراها منى إن صحبتنى ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك[٣] ، فليس كل مسألة أطلعت عليها علمت حقيقتها كما هى .

وبعبارة أخرى كيف تصبر على فعل يخالف مذهبك ظاهراً ولم يطلعك الله على الحكم فى اتيانه باطنا ، ومذهبك أنك تحكم بالظاهر على ماأنزل الله عليك من علم الكتاب ومذهبى أن أحكم بالباطن على ماأمرنى الله من العلم اللدنّى ، وقد كوشفت بحقائق الأشياء ودقائق الأمور فى حكمة اجرائها وذلك أنه تعالى أفنانى عنى بهويته وابقانى بألوهيته فبه أبصر وبه أسمع وبه أنطق وبه آخذ وبه أعطى وبه أفعل وبه أعلم .[٤] .

---

(١) الفواتح الألهية والمفاتح الغيبية للنخحوانى (١/ ٤٨٥)

(٢) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين (٣/ ١٦ - ٢١)

(٣) محاسن التأويل . القاسمى (١١/ ٤٠٧٦ - ٤٠٩٨) ونحوه فى زاد المسير والقرطبى وغيره .

(٤) روح البيان (١٥/ ٢٧٦)

﴿ قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمرا ﴾

﴿ قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ﴾ أى سأصبر بمشيئة الله تعالى(١) . وتعليق الوعد بالمشيئة إما طلبا لتوفيقه فى الصبر ومعونته أو تيمنا به أو علما منه بشدة الأمر وصعوبته فإن الصبر من مثله عند مشاهدة الفساد شديدٌ جداً لايكون إلا بتأييد الله تعالى(٢) .

﴿ ولا أعصى لك أمرا ﴾ أى قد ألزمت نفسى طاعتك .

وقيل : استثنى فى الصبر فصبر ، وما استثنى فى قوله « ولا أعصى لك أمرا » فاعترض وسأل(٣)

وسياق الآية فى مقالة سيدنا موسى عليه السلام تظهر التحمل التام والتواضع الشديد وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات ، وأما المعلم فإن رأى أن فى التغليظ على المتعلم مايفيده نفعاً وارشاداً إلى الخير ، فالواجب عليه ذكره فإن فى السكوت عنه يوقع المتعلم فى الغرور والنخوة وذلك يمنعه من التعلم(٤) ومن الآداب أن لايكون معترضا على أفعال الشيخ وأقواله وأحواله وجميع حركاته وسكناته معتقداً له فى جميع حالاته وإن شاهد منه معاملة غير مرضية بنظر عقله وشرعه فلا ينكره بها ولا يسيء الظن فيه بل يحسن فيه الظن ويعتقد أنه مصيب فى معاملاته مجتهد فى آرائه وإنما الخطأ من تصور نظر نفسه وسخافة عقله وقلة علمه(٥)

---

(١) القرطبى (١١/١٧)

(٢) روح البيان (١٥/٢٧٦)

(٣) القرطبى (١١/ ١٧)

(٤) التفسير الكبير الفخر الرازى (٢١/ ١٤٨ ومابعدها)

(٥) روح البيان (١٥/ ٢٧٦) بتصرف

﴿ **قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً** ﴾

﴿ **قال فإن اتبعنى** ﴾أى فإن صحبتنى لأخذ العلم وهو إذن له فى الاتباع بعد اللتيا والتى ﴿ **فلا تسألنى عن شيء** ﴾ تشاهده من أفعالى وتنكره منى فى نفسك أى لاتفاتحنى بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض(١) .

﴿ **حتى احدث لك منه ذكرا** ﴾ حتى أكون أنا الذى أفسره لك . وهذا من الخضر تأديب وارشاد لما يقتضى دوام الصحبة ، فلو صبر ودأب لرأى العجب ، لكنه أكثر من الاعتراض فتعين الفراق والإعراض(٢)

وفيه إيذان بأن كل ماصدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البته وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع .

ومن إشارات الآية ماقال فى التأويلات النجمية : ومن الآداب أن يسد على نفسه باب السؤال فلا يسأل الشيخ عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا إما بالقال وأما الحال .

وقالت الحكماء إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب . وعن بعض الكبار : الصمت على قسمين صمت باللسان عن الحديث بغير الله مع غير الله جملة ، وصمت بالقلب عن خاطر كونى البته . فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه خفّ وزره ، ومن صمت قلبه ولم

---

(١) روح البيان (١٥/٢٧٦) - روح المعانى (١٥/٣٣٥)
(٢) القرطبى (١١/١٨)

يصمت لسانه فهو ناطق بلسان الحكمة ، ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلى له ربه ، ومن لم يصمت لسانه وقلبه كان مسخرة للشيطان .

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يسلم قلبه من الانقباض ، ولسانه من الاعتراض ، وينسى ماسوى الله تعالى ولا تلعب به الأفكار ويصبر عند مظان الصبر ويستسلم لأمر الله الملك الغفار فإن لله تعالى فى كل شيء حكمة(١)

﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها ﴾

فى صحيح البخارى ومسلم : **فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول ، فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم لتغرق أهلها « لقد جئت شيئا إمراً قال ألم أقل إنك لم تستطيع معى صبرا قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً » قال : وقال رسول الله ﷺ : « وكانت الأولى من موسى نسيانا . قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة فى البحر ، فقال له الخضر : ماعلمى وعلمك من علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر . »**

قال القرطبى : وهذا من الخضر تمثيل . أى معلوماتى ومعلوماتك لا أثرلها فى علم الله ، كما إن ما أخذ هذا العصفور من هذا البحر لا

---

(١) روح البيان (١٥/ ٢٧٧)

أثر له بالنسبة إلى ماء البحر . ولفظ النقص فيه تجوّر قصد به التمثيل والتفهيم إذ لانقص فى علم الله ولا نهاية لمعلوماته(١) .

وأخرج بن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى العالية : كان الخضر عبداً لا تراه إلا عين من أراد الله تعالى أن يريه إياه فلم يره من القوم إلا موسى عليه السلام . ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة ، وكذا بينه وبين قتل الغلام .(٢) .

وفى خرق السفينة دليل على أن للولى أن ينقص مال اليتيم إذا رآه صلاحا مثل أن يخاف على ريعه ظالما فيخرب بعضه(٣) .

« **لقد جئت شيئا إمرا** » لقد أتيت وفعلت شيئا عجبا ، داهيا منكرا .

﴿ **قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً** ﴾

قال الخضر لموسى عليهما السلام ألم أخبرك إنك ماتقدر أن تصبر معى البته ، وهو تذكير لما قاله من قبل متضمنا للإنكار على عدم الوفاء بوعده(١) . وعند هذا اعتذر موسى بنسيانه فقال ﴿ **لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا** ﴾

---

(١) القرطبى (١٨/١١ – ١٩)

(٢) روح المعانى (٣٣٧/١٥) الحديث من طريق حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب وكذا ذكره الحافظ فى الفتح فى كتاب التفسير . وكذا ذكره القرطبى (١٩/١١)

(٣) روح البيان (٢٧٨/١٥) .

فلقد نسى وصيته ولا مؤاخذه على الناسى بشيء[1] ، فلا تعسر على متابعتك ويسرها على فإنى أريد صحبتك ولا سبيل لى إليها بالاغضاء والعفو وترك المناقشة .

ومن إشارات الآية الكريمة فى التأويلات النجمية : ومن آداب الشيخ وشرائطه فى الشيخوخة أن لايحرص على قبول المريد بل يمتحنه ، بأن يخبره عن دقة صراط الطلب وعزة المطلوب وعسرته وفى ذلك يكون له مبشراً ولا يكون له منفراً ، فإن وجده صادقا فى دعواه وراغبا فيما يهواه معرضا عما سواه يتقبله بقبول حسن ويكرم مثواه ويقبل عليه اقبال مولاه ويربيه تربية الأولاد ويؤدبه بآداب العُبّاد .

ومنها أن يتغافل عن كثير من زلات المريد رحمة عليه ولا يؤاخذه بكل سهو أو خطأ أو نسيان عهد لضعف حاله إلا بما يؤدى إلى مخالفة أمر من أوامره أو مزاولة نهى من نواهيه أو يؤدى إلى انكار واعتراض على بعض أفعاله وأقواله فإنه يؤاخذه به وينبهه عن ذلك فإن رجع عن ذلك واستغفر منه واعترف بذنبه وندم وشرط معه أن لايعود إلى أمثاله ويعتذر عما جرى عليه كما كان حال الكليم عليه السلام[2] .

وفى الآية تصريح بأن النسيان يعترى الأنبياء عليهم السلام . وفيه مايدل على أن النسيان لايقتضى المؤاخذة ، وأنه لايدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره[3] .

---

(١) التفسير الكبير الفخر الرازى (٢١/ ١٤٨ وما بعدها)
(٢) روح البيان (١٥/ ٢٧٨)
(٣) القرطبى (١١/ ٢٠)

﴿ **فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً** ﴾ .

﴿ **فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله** ﴾ ولما قبل الخضر عذر موسى فى الأولى خرجا من السفينة « **فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله** » وكان كافراً ظريفا يلعب مع الغلمان فأخذه الخضر فرضخ رأسه بالحجر واحتزه بالسكين ثم قلع رأسه بيده وذلك جمعا بين الروايات وقد سبق تفصيل ذلك فى شرح الحديث فليراجع(١) .

والجمهور على أن الغلام لم يكن بالغا ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب ، وهو الذى يقتضى لفظ الغلام . فإن الغلام فى الرجال يقال على من لم يبلغ وتقابله الجارية فى النساء . وكأن الخضر قتله لما علم من سره . وأنه طبع كافرا كما فى صحيح الحديث وأنه لو أدرك أبويه لأرهق أبويه كفرا . وقتل الصغير غير مستحيل إذا أذن الله فى ذلك ، فإن الله تعالى الفعال لما يريد ، القادر على مايشاء .

وفى كتاب « العرائس » إن موسى لما قال للخضر « اقتلت نفسا زكية » غضب الخضر واقتلع كتف الصبى الأيسر وقشّر اللحم عنه وإذا فى عظم كتفه مكتوب : كافر لا يؤمن بالله أبدا(٢) .

ولقد تقدم ترجيح العلاّمه النووى لذلك فراجعه ، وزيادة على ذلك ففى قول الله عز وجل ﴿ **لأهب لك غلاما زكيا** ﴾ إشارة إلى استعمال كلمة غلام فيمن لم يبلغ الحلم بعد ، وتأكيدا على ذلك

---

(١) راجع شرح أحاديث الخضر . وكذا قاله القرطبى (١٥/ ٢١)

(٢) القرطبى (١٥/ ٢١) وكذا ذكره الألوسى عنه (١٥/ ٣٤٠)

جاءت رواية الصحيح بأن الغلام كان « يلعب مع الغلمان » واللعب والاجتماع عليه دأب الصبيان عادة .

« **قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس** » أى قتلت نفسا طاهرة لم تقتل نفسا فيقتص منها « **لقد جئت شيئا نكرا** » منكراً أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه وقيل غير ذلك والله أعلم .

﴿ **قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا** ﴾

جاء التوبيخ على ترك الوصية بزيادة « لك » لزيادة العتاب على تركها لأنه قد نقض العهد مرتين(١) ﴿ **قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا** ﴾ ﴿ **قال إن سألتك عن شيء بعدها** ﴾ قال موسى إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة ﴿ **فلا تصاحبنى** ﴾ ففارقنى ولا تجعلنى صاحبك وإن سألتك ذلك .

﴿ **قد بلغت من لدنى عذرا** ﴾ أى فقد بلغت الغاية التى تعذر بسببها فى فراق حيث خالفتك مرة بعد مره ..

وصح عن النبى ﷺ : ﴿ **رحمة الله علينا وعلى موسى ، لو صبر على صاحبه لرأى العجب ولكن أخذته من صاحبة ذمامة فقال ذلك** ﴾(٢) والذمامة هى الحياء .

﴿ **فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن**

---

(١) روح البيان (١٦/ ٢٨٠)

(٢) راجع رواية صحيح البخارى التى مرت عليك وكذا عند مسلم .

يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا ﴾

فانطلقا ذاهبين **حتى إذا أتيا أهل قرية** لئاما ، والجمهور على أنها انطاكية . وقيل غير ذلك .

استطعما أهلها أى طالبا منهم العطاء ضيافة . **فأبوا أن يضيفوهما** امتنعوا من تضيفهما وإكرامهما . فلذا استحق أهل هذه القرية الذم كما جاء فى الحديث أنهم أهل قرية لئاما . قال قتاده : شر القرى التى لاتضيّف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه(١) .

ومن مفارقات الآية أن موسى استَطْعَمَ هاهنا فلم يُطْعَم ، وحين سقى لبنات شعيب مااستَطْعَمَ وقد أُطْعِمَ ، والجواب أن الحرمان هاهنا كان بسبب المعارضة بحيث لم يكتف بعلم الله بحاله بل جنح إلى الاعتماد على مخلوق فأراد السكون بحادث مسبوق ، وهناك جرى على توكله ولم يدخل وساطة بين المخلوقين وبين ربه بل حط الرحل ببابه **فقال ﴿ رب أنى لما انزلت إلىّ من خير فقير ﴾**(٢) .

﴿ فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ﴾يوشك أن يسقط وينهار .

وهذا مجاز وتوسع وفيه دليل على وجود المجاز فى القرآن الكريم

---

(١) القرطبى (١١/ ٢٥)

(٢) روح البيان (١٦/ ٢٨١)

وهو مذهب الجمهور [1] فعمد الخضر إلى الجدار فأشار إليه بيده[2] « **فأقامه** » فاستوى قائما كما لو كان بُنِىَ من جديد .

فتعجب موسى عليه السلام من صنيعه مع من أَبَو تضيفهما « **قال** » للخضر « **لو شئت لتخذت عليه** » على عملك هذا الذى أقمت فيه الجدار « **أجرا** » أى أجرة ومقابلا نشترى بها طعاما .

وفى قول موسى للخضر عليهما السلام دليل على صحة جواز الإجارة وهى سنة الأنبياء والأولياء وقد صدرت الكلمة من موسى على سبيل العرض لا الاعتراض فعند ذلك قال له الخضر[3] « **هذا فراق بينى وبينك** » بحكم ما شرطت على نفسك .

قال ابن عباس : وكان قول موسى فى السفينة والغلام لله ، وكان قوله فى الجدار لنفسه لطلب شىء من الدنيا فكان سبب الفراق[4] . ثم أن الخضر أردف قائلا « **سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا** » أى سأخبرك لم فعلت مافعلت مُفَصِّلا لك وجه الحق فيه .

---

(١) القرطبى (١١/ ٢٥)

(٢) كما هى رواية الصحيح ، وفى رواية أخرى أنه مسحه بيده ، والمعنى متقارب قال القرطبى : وهذا القول هو الصحيح وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل والأولياء . رضى الله عنهم .

(٣) القرطبى (١١/ ٣٣)

(٤) القرطبى (١١/ ٣٣)

ومن لطائف المحاورات على هذه الآية

أن موسى لما أنكر خرق السفينة وقال لصاحبه (لتغرق أهلها) نودى : ياموسى أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطروحا فى اليم(١) ، فلما أنكر قتل الغلام قيل له : اين إنكارك من وكزك القبطى وقضائك عليه(٢) ، فلما انكر إقامة الجدار نودى : أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب بدون أجر(٣) .

ومن الفوائد والعبر على هذه الآية مايلى :

١ - من الآداب أنه لو ابتلى المريد بنوع من الاعتراض أو مما يوجب الفرقة يعفو عنه الشيخ مرة أو مرتين ويصفح ولا يفارقه فإن عاد إلى الثالثة فلا يصاحبه لأنه قد بلغ من لدنه عذرا

٢ - ومنها أنه لو آل أمر الصحبة على المفارقة بالاختيار أو بالاضطرار فلا يفارقه إلا على النصيحة فينبئه عن سر ماكان عليه الاعتراض ويخبره عن حكمته التى لم يحط بها خبرا ويبين له تأويل مالم يستطع عليه صبرا لئلا يبقى معه انكار فلا يفلح ، وهو المراد بقول بعض الكبار : من قال لاستاذه لِمَ لَمْ يفلح(٤) .

---

(١) أى حال ولادته قال تعالى : ﴿ **ولقد مننا عليك مرة أخرى إذا أوحينا إلى أمك مايوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل** ﴾ طه/٣٧ - ٣٩

(٢) قال تعالى : ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان** ﴾ القصص/ ١٥

(٣) قال تعالى : ﴿ **فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب انى لما أنزلت إلىَّ من خير فقير** ﴾ القصص/ ٢٤ القرطبى (١١/ ٣٣) بتصرف .

(٤) روح البيان (١٦/ ٣٨٣) وفى العبارة الأخيرة تتحدث عن المريد عند الاعتراض الروحى على شيخه ويقابلها المريد عند التعليم فإنه يتوجب عليه السؤال والاستفهام أبدا كى يفلح والله أعلم .

٣ – ومنها ثبوت كرامات الأولياء ، على مادلت عليه الأخبار الثابتة والآيات المتواترة ولا ينكرها إلا المبتدع الجاحد ، أو الفاسق الحائد ، فالآيات ما أخبر الله تعالى فى حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية فى الصيف والصيفية فى الشتاء(١) ، وما ظهر على يدهاحيث أمرت النخلة وكانت يابسة فأثمرت(٢) وهى ليست بنبية(٣) ومنه مارواه البخارى عن أبى هريرة من شأن خبيب الأنصارى عندما أُسِرَ فى بنو الحرث وما قالت بنت الحرث فيه « والله مارأيت أسيرا قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب فى يده وأنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمر . وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله تعالى خبيبا »(٤) هذا والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تنكر وإنما بذكر القليل يتنبه العاقل للكثير رزقنا الله عز وجل حسن الاعتقاد وأبرأنا من علة الانتقاد .

﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾

قال الخضر عليه السلام مفسرا :

« **أما السفينة** » التى خرقتها « **فكانت لمساكين** » ضعفاء لايقدرون على مدافعه الظلمة وكانوا عشرة أخوة خمسة يعملون

---

(١) **قال تعالى ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** آل عمران/ ٣٧

(٢) **قال تعالى : ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾** مريم/ ٢٥

(٣) **القرطبى** (١١/ ٢٨)

(٤) **القرطبى** (١١/ ٣١)

وخمسة زمنى أى أصحاب أمراض مستعصية[1] « **يعملون فى البحر** » بها مؤاجرة طلبا للكسب فيتعيشون بما يحصل لهم « **فأردت** » بحكم الله وارادته « **أن أعيبها** » أجعلها ذات عيب ظاهر وسبب ذلك « **وكان وراءهم ملك** » قيل هدد بن بدد[2] « **يأخذ كل سفينة** » صالحة جيدة « **غصباً** » ظلما وقهرا ليستولى عليها من أصحابها . فأردت بما فعلت إعانتهم وانقاذ سفينتهم من حيث لايعلمون ، فظاهر فعله تخريب وباطنه إصلاح وتعمير .

ومن لطيف ماقيل على هذه الآية :

أن أهل السفينة لما لم يأخذوا النول من موسى والخضر عوضهم الله تعالى خيراً من ذلك حيث نجى سفينتهم من اليد العادية وفيه فضيلة الفضل[3]

﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴾

يقول الخضر عليه السلام هذا وجه الحق فى خرقى للسفينة « **وأما الغلام** » الذى قتلته[4] « **فكان أبواه مؤمنين** » مقرين بتوحيد الله

---

(١) والخمسة الذين لا يطيقون العمل : أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون . ذكره الثعلبى . انظر تفسير القرطبى (١١/ ٣٤) .

(٢) كما ورد برواية الصحيح فيما مر عليك .

(٣) روح البيان (١٦/ ٢٨٥)

(٤) واستشكل بعض أهل العلم قتل الغلام ولم يبلغ بعد ولا اشكال فالخضر علم باعلام الله أنه لو صار بالغا لكان كافراً ولأرهق أبويه طغيانا وكفراً ، فللخضر عليه السلام شريعة من عند الله تسوغ له ذلك ولا أدل على ذلك من قوله تعالى (**وما فعلته** =

تعالى ولم يكن هو كذلك فقد طبع يوم طبع كافراً . « **فخشينا** » خفنا أو علمنا « **أن يرهقهما** » : يغشاهما ويكلفهما « **طغيانا** » ضلالة ومجاوزة للحدود الإلهية « **وكفرا** » بالله تعالى وذلك بأن يحملهما على متابعته[1] فيكفران بعد الإيمان ويضلان بعد الهداية .

يعوضهما ويرزقهما ولداً « **خيراً منه زكاة** » طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة[2] وأتم دينا وصلاحا[3] « **وأقرب** » منه « **رحما** »

رحمة وبراً بوالديه قال الكلبي : أبدلا جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم (قد فصلت ذلك في شرح الحديث) . قال قتادة : لقد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما ، فالواجب على كل امرىء الرضا بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب[4]

وقال أهل الحكم : رب عداوة هي في الحقيقة محبة ورب عدو هو

= **عن أمري**) وأخرج أحمد بن عطاء قال : كتب نجدة الحروري إلى بن عباس يسأله عن قتل الصبيان ، فكتب إليه إن كنت الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم « ولكنك لاتعلم » هذه الزيادة عند أبي شيبة .

(١) الألوسي روح المعاني (١٦/ ١١) ـ البروسوي روح البيان (١٦/٢٨٥)

(٢) روح البيان (١٦/ ٢٨٥)

(٣) القرطبي (١١/ ٣٧)

(٤) القرطبي (١١/ ٣٨)

فى الباطن محب . وقيل : انتفاع الإنسان بعدو مشاجر يذكر له عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفى عليه عيوبه .

ومن باب الاشارة فى الآية :

١ - تحقيق قوله تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم** ﴾(١) .

فإن أبوى الغلام كانا يكرهان قتل ابنهما بغير قتل نفس ولا جرم وكان قتله خيراً لهما ، وكانا يحبان حياة ابنهما وهو أجمل الناس وكانت حياته شرا لهما ، وكان الغلام يكره قتل نفسه وهو خير له ويحب حياة نفسه وهو شر له لأنه بطول حياته يبلغ كما شقاوته .

٢ - إن من عواطف احسان الله تعالى أنه إذا أخذ من العبد شيئا من محبوباته وهو مضر له والعبد غافل عن مضرته ، فإن صبر وشكر فالله تعالى يبدله خيرا منه مما ينفق ولا يضره(٢)

﴿ **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا** ﴾

ثم يأتى الخضر عليه السلام إلى الحادثة الثالثة مفسراً فيقول

« **وأما الجدار** » الذى سويته بيدى فاستقام « **فكان لغلامين**

---

(١) البقرة/ ٢١٦

(٢) روح البيان (١٦/ ٢٨٦).

يتيمين » صغيرين مات أبوهما(1) « **فى المدينة** » هى القرية السابق ذكرها وهى أنطاكية على قول الجمهور « **وكان تحته كنز لهما** » عبارة عن ذهب وفضة(2) مدفون تحت الجدار وروى أنه كان لوحا من ذهب ، مكتوب فيه : عجب لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك ؟ عجبا لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب ؟ عجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدى ورسولى ، وفى الشق الآخر : أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه ، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه »(3)

ولا مانع من الجمع بين الروايتين وعلى هذا يمكن اعتبار قيمة من جهتين ماليّة وعلميّة فقد بلغ غاية الكمال فى قدره ومقداره . والله أعلم .

« **وكان أبوهما صالحا** » كان ذا أمانة(4) ، وقيل : كان الأب السابع(5)

---

(1) لأن يُتْمَ بنى آدم بموت الأب ، وفى الحديث « لايتم بعد بلوغ »

(2) رواه الترمذى ١٤٤/٢ من حديث مكحول عن أم الدرداء عن أبى الدرداء . ورواه الحاكم أيضا عن أبى الدرداء ، ورواه البخارى فى تاريخه والبزار وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى

(3) رواه عطاء عن ابن عباس .

(4) قاله مقاتل زاد المسير ابن الجوزى (٥/ ١٨٢)

(5) قاله جعفر الصادق رضى الله عنه . الألوسى روح المعانى (١٣/١٦)

قال ابن عباس : حُفظا بصلاح أبيهما ولم يُذكر منهما صلاحا .

قال القرطبى[(١)] فى الآية ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح فى نفسه وفى ولده وإن بعدوا عنه وقد روى أن الله تعالى : يحفظ الصالح فى سبعة من ذريته ، وعلى هذا يدل قوله تعالى : ﴿ **إن وليّيَ الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون** ﴾[(٢)] وقوله تعالى فى حق كرامة نبيه ﷺ فى أمته ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾[(٣)]

ومعلوم أن النبى ﷺ : « أولى بالمؤمنين من أنفسهم »[(٤)]

وقال رسول الله ﷺ « **إن الله عز وجل يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده وأهل دويرته وأهل دويرات حوله ، فما يزالون فى حفظ الله تعالى مادام فيهم** »[(٥)]

قال سعيد بن المسيب إنى أصلى وأذكر ولدى فأزيد فى صلاتى .

وفى الصواعق لابن حجر : قيل إن حمام الحرم أنما أكرم لأنه من

---

(١) القرطبى (١١/ ٣٩) والآية الأعراف/ ١٩٦

(٢) فصلت/ ٣٠ - ٣١

(٣) الأنفال/ ٣٣

(٤) الأحزاب/ ٦

(٥) اخرجه ابن مردويه عن جابر . كذا عزاه الشوكانى فتح القدير (٣/ ٣٠٦)

ذرية حمامتين عششتا على غار ثور الذى اختفى فيه النبى ﷺ عند هجرته من مكة .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن وهب قال : إن قال تعالى ليحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس .

« **فأراد ربك** » مالك ومدبرك « **أن يبلغا أشدهما** » حلمهما وكمال رأيهما وتمام نموهما[1] « **ويستخرجا كنزهما** » من ذلك الموضع تحت الجدار ولولا أنى أقمته لانقض وخرج الكنز قبل اقتدارهما على حفظه والانتفاع به . وذلك « **رحمة من ربك** » لهما وعناية منه سبحانه بهما . « **وما فعلته عن أمرى** » أى عن رأيى واجتهادى وإنما فعلته بأمر ربى ووحيه[2] أو بإلهامه[3] وهذا إيضاح لما اشكل على موسى وتمهيد للعذر فى فعله المنكر ظاهراً . وهكذا الطريق بين المرشد والمسترشد فى إزالة الشكوك والشُبه عنه شفقة به « **ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا** » أى ذلك المذكور من تلك البينات التى بينتها لك وأوضحت وجوهها تأويل ماضاق صبرك عنه ولم تطق السكوت عليه .

قال فى العوارف : ويحذر المريد الاعتراض على الشيخ ويزيل اتهام الشيخ عن باطنه فى جميع تصاريفه فإنه السم القاتل للمريدين ، وقلّ أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطن فيفلح . ويذكر المريد فى

---

(١) قيل يؤنس الرشد من البالغ مابين ثمانى عشر وثلاث وثلاثون سنة . روح البيان (١٦/ ٢٨٧)

(٢) على من قال بنبوته

(٣) على من قال بولايته .

كل ما أُشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب فى ذلك فكذا ينبغى للمريد أن يعلم أن كل تصرف اشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه وبرهان للصحة أهـ .

روى عن الإمام الكبير أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه قوله لو أن موسى عليه السلام صَحِبَ الخضر عليه السلام بعد ذلك أكان يعترض عليه ؟ والجواب : كلا . قال : فكذلك الواجب على المريد مع شيخه مع علمه بصدق شيخه وكماله وعلو كعبه فى العلوم والمعارف .

قال رسول الله ﷺ : « **وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما**[1] » .

وفى هذا التعقيب المحمدى الكريم على القصة دليل على موقع أحداثها وأشخاصها من قلب النبى المصطفى ﷺ وتمنيه أن تتواصل الأحداث بما يعنى تمنى تواصل العبر وتمكن العلم واقتطاف الانسان لثمرة العلم وتذوق تلك الثمرة كى يترسم الشرع الشريف بروحانية شفافة لا على أنه قوالب جامدة . ولينكشف له فى ذات الوقت شيئا من سر القَدَرِ فيسلم المرء لمالكه فيما قضى وقدّر .

وقيل إن الخضر لما ذهب يفارق موسى قال له موسى أوصنى . قال : كن بَسّاما ولا تكن ضحاكا . ودع اللّحاجة ولا تمش فى غير

---

(١) صحيح مسلم من رواية قتيبة بن سعيد

حاجة ولا تَعِبْ على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك ياابن عمران(١) .

وذكر الامام السهيلى رحمه الله فى التعريف والاعلام .

ومن وصايا الخضر أيضا : كن نفّاعا ولا تكن ضرارا ، وكن بشاشا ولا تكن عبوسا غضابا . وإياك واللجاجة ، ولا تمشى فى غير حاجة ، ولا تضحك من غير عجب ولا تعيّر المذنبين خطاياهم بعد الندم ، وابك على خطيئتك مادمت حيا ، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد ، وأجعل همك فى معادك ، ولا تخض فيما لايعنيك ولا تأمن لخوف من أمّنك ، ولا تيأس من أمن من خوفك ، وتدبر الأمور فى علانيتك ولا تذر الاحسان فى قدرتك . فقال له موسى قد ابلغت فى الوصية فأتم الله عليك نعمته وغمرك فى رحمته وكلأك من عدوه .

فقال له الخضر أوصنى أنت ياموسى فقال له موسى : إياك والغضب إلا فى الله ، ولا تحب الدنيا فإنها تخرجك من الايمان وتدخلك فى الكفر . فقال له قد أبلغت فى الوصية فأعانك الله على طاعتك وأراك السرور فى أمرك وحبّبك إلى خلقه وأوسع عليك من فضله قال له آمين(٢) .

وأخرج ابن أبى حاتم وبن عساكر عن يوسف بن اسباط قال بلغنى أن الخضر قال لموسى لما أراد أن يفارقه . ياموسى تعلم العلم

---

(١) القرطبى (١١/ ٤٥)

(٢) دكره اسماعيل البروسوى فى روح البيان (١٦/ ٢٨٨)

لتعمل به ولا تعلم لتحدث به ، وبلغنى أن موسى قال للخضر ادع لى فقال الخضر : يسرّ الله عليك طاعته[١]

وأخرج بن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان وابن عساكر عن أبى عبد الله وأظنه الملطى قال : « لما أراد الخضر أن يفارق موسى قال له : أوصنى قال : كن نفاعا ولا تكن ضرراً كن بشاشاً ولا تكن غضباناً ، ارجع عن اللجاجة ولا تمشى من غير حاجة ولا تعيرّ أمرأ بخطيئة وإبك على خطيئتاك ياابن عمران .[٢] .

شذرات الذهب من بحرى العجب

أو لطائف المنن ونفائس الحكم :

اقتضت حكمة الحق عز وجل أن يورد علينا من قصص أنبيائه ورسله وعبادة الصالحين لا لِيَسْمُرَ بها الناس فى مجالسهم ولكن ليشمّر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها والاستفادة بهديها دائما أبدا ، ولأجل تلك المعانى وجه أئمة الأمة وعلمائها الأثبات همتهم لاستجلاء هاتيك المعانى ، واخراج فصوص الحكم لكل متدبر عانى .

ومن أجلّة هؤلاء الأئمة **الامام العلامة الحافظ أمير المؤمنين ابن حجر العسقلانى**

قال رحمه الله معلقا على هذه القصة[٣] :

---

(١) ذكره صاحب لباب التأويل فى معانى التنزيل علاء الدين البغدادى (٣/ ٢٩٢) وكذا روح المعانى (١٦/ ٨)

(٢) ذكره صاحب روح المعانى (١٦/ ٨)

(٣) الحافظ فى الفتح (٨/ ٣٤١) بتصرف .

وفى الحديث من الفوائد غير ماتقدم « استحباب الحرص على الازدياد من العلم والرحلة فيه ولقاء المشايخ وتجشم المشاق فى ذلك والاستعانة بالأتباع . واطلاق الفتى على التابع واستخدام الحر وطواعيه الخادم لمخدومه وعذر الناس وقبول الهبة من غير المسلم .

واستدل به على أن الخضر نبى لعدة معان

١ – لقوله تعالى ﴿ وما فعلته عن أمرى﴾

٢ – إتباع موسى رسول الله له ليتعلم منه

٣ – اطلاق أنه أعلم منه

٤ – إقدامه على قتل النفس لما شرحه بعد ذلك .

واستدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما ، والأعضاء عن بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ماهو أشد ، وافساد بعض المال لإصلاح معظمه وكل هذا شروط بما لايعارض بنصوص الشرع

وفيه جواز الأخبار بالتعب ويلحق به الألم من مرض ونحوه ومحل ذلك إذا كان على غير سخط من المقدور

وفيه أن المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع بخلاف المتوجه إلى غيره .

وفيه جواز طلب القوت وطلب الضيافة .

وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية

وفيه حسن الأدب مع الله وأن لايضاف إليه مايستهجن من لفظ وإن كان الكل بتقديره وخلقه ، ومثله قول الرسول ﷺ « **والخير بيديك والشر ليس إليك** » .

ومنها ما استخرجه : الامام الحافظ الفقيه النووى رحمه الله تعالى فقال[1] :

فى القصة أنواع من القواعد والأصول والفروع والآداب والنفائس المهمة سبق التنبيه على معظمها ومنها أيضا استحباب الرحلة فى طلب العلم واستحباب الاستكثار منه وأنه يستحب للعالم وإن كان من العلم بمحل عظيم أن يأخذه ممن هو أعلم منه ويسعى إليه فى تحصيله وفيه فضيلة طلب العلم وفى تزوده الحوت وغيره جواز التزود فى السفر ، وفى هذا الحديث الأدب مع العالم وحرمة المشايخ وترك الاعتراض عليهم وتأويله مالا يفهم ظاهره من أفعالهم وحركاتهم وأقوالهم والوفاء بعهودهم والاعتذار عند مخالفة عهدهم وفيه اثبات كرامات الأولياء على قول من يقول « الخضر ولى » وفيه جواز سؤال الطعام عند الحاجة ، وجواز إجارة السفينة وجواز ركوب السفينة والدابة وسكنى الدار ولبس الثوب ونحو ذلك بغير أجرة برضى صاحبه ، لقوله حملونا بغير نول وفيه الحكم بالظاهر حتى يتبين خلافه « لانكار موسى » .

وفيه أنه لا بأس على العالم الفاضل أن يخدمه المفضول ويقضى له حاجة ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب بل من مروءات الأصحاب وحسن العشرة ومنها الحث على التواضع فى علمه وغيره وأنه لا يدّعى أنه أعلم الناس وأنه إذا سئل عن أعلم الناس يقول الله أعلم . ومنها بيان أصل عظيم من أصول الإسلام وهو وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى (١٥/ ١٣٧ وما بعدها) بتصرف .

ولا يفهمه أكثر الناس وقد لا يفهمونه كلهم كالقدر ، وموضع الدلالة قتل الغلام وخرق السفينة فإن صورتهما صورة المنكر وكان صحيحا فى نفس الأمر له حكم بينة لكنها لا تظهر للخلق فإذا أعلمهم الله تعالى بها علموها ، ولهذا قال : وما فعلته عن أمرى ، يعنى بل بأمر الله تعالى .

وفى القصة حجة بينة لأهل السنة لصحة أصل مذهبهم فى الطبع والرين والأكنة والأغشية والحجب والسد وأشباه هذه الألفاظ الواردة فى الشرع فى أفعال الله تعالى بقلوب أهل الكفر والضلال ، ومعنى ذلك عندهم خلق الله تعالى فيها ضد الايمان وضد الهدى وهذا على أصل أهل السنة : أن العبد لاقدرة له إلا ما أراده الله تعالى ويسره له وخلقه له .

والحق الذى لاشك فيه أن الله تعالى يفعل مايشاء من الخير والشر « **لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون** »(١) وكما قال تعالى فى الذر قبل خلق الأشباح : « **هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى** » .

وفيها من دلائل مذهب أهل الحق فى أن الله تعالى أعلم بما كان وبما يكون وبما لايكون لو كان كيف كان يكون ومن قوله تعالى ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾(٢) .

ومنها ماذكره **العلامة المفنن الامام السيوطى رحمه الله تعالى** فى

---

(١) الأنبياء ٢٣ .
(٢) الأنعام ٢٨ .

هذه الآيات أنه لا بأس بالاستحدام واتخاذ الرفيق والخادم فى السفر واستحباب الرحلة فى طلب العلم ، واستزادة العالم من العلم واتخاذ الزاد للسفر وأنه لاينافى التوكل . ونسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان مجازاً وتأدباً عن نسبتها إلى الله تعالى .

وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه ولو كان دونه فى المرتبة ، واعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه فى عدم تعليمه مما لايحتمله طبعه ، وتقديم المشيئة فى الأمر واشتراط المتبوع على التابع . وأنه يلزم الوفاء بالشروط . وأن النسيان غير مؤاخذ به وأن للثلاث اعتبار فى التكرار ونحوه .

وأنه لابأس بطلب الغريب الطعام والضيافة وأن صنع الجميل لايترك ولو مع اللئام وجواز أخذ الأجر على الأعمال ، وأن المسكين لايخرج عن المسكنة بكونه له سفينة أو آلة يكتسب بها أو شىء لايكفيه .

وأن الغصب حرام ، وأنه يجوز اتلاف بعض مال الغير أو تغيبه لوقايته ، وإذا تعارض مفسدتان ارتكب الأخف .

وأن الولد يحفظ بصلاح أبيه ، وأنه تجب عمارة مايخاف منه ويحرم إهمالها إلى أن تخرب وأنه يجوز دفن المال فى الأرض . اهـ .

ومنها ماذكره العلامة المفسر البيضاوى رحمه الله تعالى .

أن لا يعجب المرء بعلمه ، ولا يبادر إلى إنكار مالا يستحسنه ، فلعل فيه سراً لا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الأدب فى المقال . وأن ينبه المجرم على جرمه ، ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره ثم يهاجر عنه .

الفصل الخامس

بين النبوة والولاية

سبق أن أسلفنا أن الخضر عليه السلام فى عامة أمره كالطلسم المكنون والحديث عن نبوته أو ولايته من الأمور المختلف عليها بين عامة أهل العلم ويحسن بنا قبل الخوض فى مباحث هذا الباب أن نقدم بإيجاز عن ما هية النبوة والأنبياء عليهم السلام والولاية والأولياء رضى الله عنهم أجمعين .

أولا : النبوة

النبى : فى اللغة مهموز وغير مهموز ... فالمهموز مأخوذ من النبأ الذى هو الخبر وغير المهموز يحتمل وجهين أحدهما التخفيف بإسقاط همزته ، والثانى أن يكون من النبوة التى هى الرفعة . فالنبى على هذا : هو الرفيع المنزله عند الله .

والنبى من أتاه الوحى من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحى وكلاهما مقصود .

والرسول : هو الذى تتابع عليه الوحى وأتى بشرع على الإبتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله .

والنبوة طريق الرسالة ، وكل رسول نبى ولا ينعكس .

أما الوحى : فهو عرفان يجده الموحَى إليه فى نفسه يجزم بأنه من الله عز وجل .

أو هو : اعلام بخفاء من الله لعبده المصطفى بنبوته أو برسالته . ودليله قوله تعالى ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم** ﴾(١) .

والنبى أيضا إنسان ذكر حر خاليا من العيوب المنفرة والواجب فى حق الرسل : الأمانة والعصمة ـ الصدق ـ الفطانة ـ التبليغ .

والجائز فى حقهم عليهم السلام : كل الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص مراتبهم ومكانتهم . والمعجزة : أمر خارق للعادة يظهره الله عز وجل على يد مدعى النبوة تصديقا لدعوته وتحديا للمنكرين عن الإتيان بمثله .

والمعجزة فى اللغة مأخوذة من العجز الذى هو نقيض القدرة .

والمعجز فى الحقيقة هو الله تعالى فإنه فاعل العجز فى غيره وحقيقة المعجزة على طريق المتكلمين : ظهور أمر خلاف العادة فى دار التكليف لاظهار صدق ذى نبوة من الأنبياء أو ذى كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى به عن معارضة .

---

(١) الشورى/ ٥١ .

فالمعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء . والمغوثات لسائر العباد[1] وأمر النبوة واضح لاخفاء فيه لذا اكتفينا فيه بهذا القدر .

ثانيا : الولاية .

الولى لغة : القريب

والمراد بأولياء الله خُلَّصُ المؤمنين ، لقربهم الروحانى منه سبحانه . أو هو ولى من الولاء . وهو العز والنصر ، سُموا بذلك لأنهم المنصورون بالله المعززون به ، لا يطمعون فى شىء سوى القربة منه سبحانه . و (ولى) فعيل :

١ ـ أما بمعنى فاعل : أى متولى خدمة ربه بكل ما أمكنه بروحه وجسمه ودنياه .

٢ ـ أو بمعنى مفعول : أى تولى الله اكرامه وعطاياه فلم يكله إلى شىء سواه[2] .

وحقيقة أن الولى يجتمع فيه المعنيين فحيث تولى هو الخدمه لمولاه تولاه مولاه بالنعمة والنفحة وهو سر قوله فى الحديث « **يا دنيا من خدمنى فاخدميه** » فحينئذ صار معنى الولى هو : « المنهمك فى طاعة ربه الذى أفضيت عليه الأنوار والأسرار »[3] .

---

(١) أصول الدين لأبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى المتوفى ٤٢٩ هـ بتصرف ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) راجع تفسير أبى السعود عند قوله تعالى ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ .

(٣) حاشية العلامه الصاوى على تفسير الجلالين (١٩٤/٢) .

قال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل « **من تقّرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلىّ ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أقبل إلىّ يَمشى أقبلْت إليه أهرول** »(٢) .

فما هى علامة الولى :

وعلامة الولى كما قال فى الحديث « **هم الذين إذا رؤوا ذكر الله** »(٣) .

وسبب ظهور ذلك ظهور أنوار المعرفة الكائنة فى قلوبهم على ظواهرهم ، وذلك سر قوله تعالى : ﴿ **سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** ﴾(٤) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم يا رسول الله فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم من نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٥) .

---

(١) العنكبوت/٦٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (٣٩٥/١٣) فتح ، ومسلم فى التوبه (٦٠/١٧) نووى واللفظ له .

(٣) رواه الطبرى عن سعيد بن جبير .

(٤) الفتح/٢٩ انظر حاشية الصاوى على الجلالين (١٩٥/٢) .

(٥) أخرجه الطبرى بسنده إلى أبى هريرة والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وأحمد بألفاظ مقاربه .

وشرط الولى : أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما ، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع .

ثم لنعلم أنّ الولاية على قسمين :

١ ــ عامة : وهى مشتركة بين جميع المؤمنين . قال تعالى ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾[١] .

٢ ــ خاصة : وهى قائمة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك والمراتب كما قال تعالى ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾[٢] .

فهؤلاء الكاملون كانوا يتقون الله تعالى من صدور سيئات الأعمال والأخلاق فى مرتبة الشريعة والطريقة ، ومن ظهور الغفلات والتلوينات فى مرتبة المعرفة والحقيقة لأنهم يصلحون طبائعهم بالشريعة وأنفسهم بالطريقة ، وقلوبهم بالمعرفة ، وأرواحهم وأسرارهم ، بالحقيقة ، فلا جرم أنهم يتقون من جميع ما سوى الله عز وجل[٣] .

ورب سائل يسأل عن المراد من قولنا : الشريعة ــ الطريقة ــ الحقيقة . وما هى حقيقة النسبة بين هذه الثلاث ؟

والجواب بأبسط عبارة أن الشريعة هى : جملة الأحكام التى وردت عن الشارع الحكيم والتى نسميها الدين .

---

(١) البقرة/٢٥٧ .

(٢) يونس/٦٢ .

(٣) روح البيان إسماعيل البروسوى عن شيخة (٥٨/٤) .

أما الطريقة فهى : العمل على وفق ما عُلِمَ من الدين .

أما الحقيقة فهى : ثمرة العمل بإخلاص على مقتضى علم الدين فتصفو النفس من كدوراتها وتكون مهيأة لتلقى فيض ربها .

ومصداق ذلك فى قوله تعالى ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾[(1)] وقوله ﷺ « **من عمل بما علم وَرَّثَهُ الله تعالى علم مالم يعلم** »[(2)] . وإذا أردنا تمثيلا لذلك نقول : الشريعة كالشجرة والحقيقة كالثمرة ولولا الأصول لم يكن للثمر حصول . أو تقول : الشريعة كالأشباح والحقيقة كالأرواح . إذ الأرواح لا تظهر بغير الأشباح والأشباح لا تقوم بغير الأرواح فمن هنا تعرف أنهما متلازمان كما قال ابن البنا .

«هل ظاهر الشرع وعلم الباطن الاكجسم فيه روح ساكن
لو عمل الناس على الانصاف لم تر بين الناس من خلاف »[(3)]

وقال العلامة الهجويرى الغزنوى : قال الله تعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ فالمجاهده شريعة والهداية حقيقة . « فالأولى حفظ العبد لأحكام الظاهر على نفسه والثانية : حفظ الحق لأحوال الباطن عن العبد . وإن شئت فقل : الشريعة مكاسب والحقيقة مواهب »[(4)] .

---

(١) البقرة/٢٨٢ .
(٢) رواه أبو نعيم عن أنس . المقاصد الحسنة (٣٦٥/٢) .
(٣) انظر كتاب نيل الإرب بشرح روح الأدب/٣٢ للشيخ نصر يوسف محمد الراشدى التشادى التجانى من أهل العرفان الكامل مشهود له برسوح القدم فى علمى الشريعة والحقيقة .
(٤) كشف المحجوب/٦٢٦ للعلامة الهجويرى الغزنوى ت ٤٤٢ هـ .

ولنعد إلى صلب حديثنا عن الولاية فنقول إن أول الولاية إنتهاء السفر الأول الذى هو السفر من الخلق إلى الحق بإزالة التعشق عن المظاهر والأغيار والخلاص من القيود والأستار والعبور على المنازل والمقامات والحصول على المراتب والدرجات .

ولا نهاية لكمال الولاية : فمراتب الأولياء غير متناهية ، والطريق التوحيد وتزكية النفس .

ولما كانت المراتب متميزة ، قسّم أرباب هذه الطريقة المقامات الكلية إلى :

علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

فعلم اليقين(١) : متصور الأمر على ما هو عليه .

وعين اليقين(٢) : بشهوده كما هو .

وحق اليقين(٣) : بالفناء فى الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً(٤) .

ومن شواهد الأولياء الكرامة : وهى أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد صالح غير مُدَّعٍ للرسالة .

(١ ، ٢) قال تعالى : ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين** ﴾ التكاثر/٥ ـ ٧

(٣) قال تعالى ﴿ **وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ الحاقة/ ٥١ ـ ٥٢ . قال تعالى ﴿ **إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ الواقعة/٩٥ ـ ٩٦ .

(٤) روح البيان (٦٢/٤) .

وهى من الأمور الجائزة عقلاً والواقعة فعلاً والمنقولة خبراً ، جاء بها الكتاب العزيز والسنة المطهرة الصحيحة ، والأخبار المستفيضة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا(١) .

وإن الإيمان بثبوت الكرامات للأولياء(٢) واجب وجوب باقى العقائد الدينية لشهادة الكتاب والسنة وورودها بذلك ، والعارفون لا يقفون معها ويرون من وقف عندها وجعلها غاية ومقصوده فقد خدع ولا يبعد أن يهلكه ذلك إن لم يتداركه المولى بلطفه .

ثم إن من أعظم الكرامات عند الكُمَّل ، الاستقامة على الشريعة والتمسك بالسنة المطهرة . ومن أعظم وأكبر الكرامات أيضا ، ورود الواردات المصحوبة بنور التعريف على القلب ، فإن القلوب ثلاثة :

١ ـ قلب أفاض الحق عليه من الأنوار والعلوم إفاضة مصحوبة بالإعلام وذلك قلب اختصه الله بالنبوة والرسالة .

٢ ـ وقلب أفاض الحق عليه من أنوار وعلوم الأنبياء واكرم الله صاحبة بالتعريف بأن ما ورد عليه من الله على وجه الكرامة فذلك قلب الولى الصدِّيق المقرب .

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية . حسن محمد أيوب/١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢) انظر المغير على شبهات أهل الأهواء/٣٦١ . للإمام القدوة والعارف الغارف فضيلة الشيخ إبراهيم بن صالح بن يونس النوى الحسنى التجانى عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بنيجيريا ، ألّف فأجاد وحرر فأفاد ودعا إلى الله على بصيرة وبالجمله فالكلمات تتقاصر عن الإبانة عن سعه فضله وعلمه ورسوخ قدمه . رضى الله عنه وأرضاه وعنابه .

٣ ـ وقلب ترد عليه المعارف خلواً من التعريف ، فهو إن نقل نسب ، وإن تلقى زعم بأنه اكتسب ، وذلك قلب المؤمن العادى .

فالقلوب التى أنارها الحق بمعرفته وقربها وأدناها بلطفه حتى تحققت بمقامات اليقين حيث عاقب فناءَها بقاؤها ومحوها صحُوها فحظيت بإذن الدعوة إلى الله على بصيرة البيّنه والشاهد والأتباع .

وهذه القلوب تظهر على أصحابها الكرامات وهى لا تقف معها لما هى عليه من التحقق بمعرفة الله التى لا يبقى معها شهود الخارق .

وعلى كل حال فإن موجات الإلحاد العصرى وموضة الشك والتشكيك التى تفشت فى هذا الوقت أثَّرت فى العقول وحجبت القلوب عن الإيمان بالكرامات ، وأصبح موقف المادى الملحد الذى يعبد الأسباب ولا يستطيع أن يجتازها ليرى يد القادر المقتدر تدبر الأمور ، وهو موقف المسلم عالما دينيا ، أو مثقفا علمانيا ، أو متعالما دعيّا فإنهم جميعا يجحدون الكرامات وينكرونها مع أن الكتاب والسنة أثبتا هذه الكرامات ، والمشاهده العيانية تقضى بضلال هؤلاء الجاحدين .

وأما أهل السنة والجماعة فقد أثبتوها بما أثبتوا به المعجزات للأنبياء ، ومن أمثله ذلك قصة أصحاب الكهف ، وما أكرم الله تعالى به مريم البتول من أنواع الكرامات الباهرات ، وقصه آصف بن براخيا مع سليمان عليه السلام لما أتى له بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفة .

ولقد ورد الكثير من ذلك عن الصحابه ومن بعدهم من الصالحين وما بقصة يا ساريه الجبل بخفيّة علينا فقد أطلقها عمر من فوق منبر

سيدنا رسول الله ﷺ إلى ساريه بن زنيم الخلجى وهو على أبواب نهاوند[١] .

وبالجمله فإن كتب السنة والتراجم مشحونه بذلك فلتراجع فى مظانها لمن أراد الاستزاده ومن العلماء من أفردها بالتأليف[٢] .

ويطيب لنا أن نختم الحديث عن الأولياء بما حدث به سيد الأصفياء عن ربه عز وجل قال : « **من عادى لى وليّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى احبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويدهُ التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه** »[٣] صدق الله ورسوله .

الفرقان الإلهى « العلم اللدنى »

الفرقان : هو النور الذى يعطية الحق تعالى لمن اتقاه بعد الإيمان به وتوحيده فى كل شيء . فإن من اتقى الله تعالى بالحق أعطى قوة نورانية بها يفصل بين الحق والباطل .

---

(١) راجع ترجمه الفاروق عمر رضى الله عنه : أسد الغابة لابن الأثير والإصابة ، ابن حجر العسقلانى . وطبقات الشافعية . تاج الدين السبكى الصغير .

(٢) مثل ابن سيد الناس الذى ألف المقامات العليَّة فى الكرامات الجليّه .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (١١/٣٤٨) فتح وكذا ابن ماجة فى الفتن (٢/١٣٢٠) بنحوه .

وتقوى الله تعالى بالحق وهى فعل جميع الأوامر وترك جميع المناهى والزواجر لله فى الله لا لغرض من الأغراض .

قال تعالى :﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** ﴾(١) .

وقال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾(٢) .

فالفرقان فى تلك الآية هو النور فى هذه الآية ، وهذا النور هو نور العلم والمعرفة ويشهد لهذا النور حديث : كيف أصبحت يا حارث ، فقد مرّ الحارث بن مالك الأنصارى برسول الله ﷺ فقال له : **« كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال أنظر ما تقول فإن لكل شىء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال : عرفت فالزم ثلاث »**(٣) .

---

(١) الأنفال/٢٩ .

(٢) الحديد/٢٨ .

(٣) رواه الطبرانى باسنادة عن الحارث بن مالك ، ورواه بن منده ، وابن جرير بن عقبة والبيهقى فى الشعب . وعبد الرزاق عن عمر عن صالح بن مسمار وجعفر بن برقان . والحديث عن الفرقان الإلهى من كتاب المغير للاستاذ العلامة إبراهيم صالح الحسينى رضى الله عنه .

وبعد أن إستبان لنا هذا الفرقان تيسر لنا القرب أكثر من مفهوم الآيه ﴿ **وعلمناه من لدنا علما** ﴾ يعنى بطريق الفيض الإلهى والإلهام الربانى لا بطريق التعليم اللفظى والتدريس القولى ولابد لصاحب هذا المقام أن يكون عالما بالله أولا وعالما عن الله ومخبراً عنه ثانيا فالعالم بالله تطوقه هذه الآيه ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ أى العلماء به . أى إنما يخشاه الخشية الحقه العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة بالله العظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالاسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل وكانت الخشية له أعظم وأكثر والخشية هى التى تحمل العالم على العمل بعلمه وهى حاصلة عند حصول العلم بالله وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامة فى خلقه .

والعالم بالله كذلك لا يرفع قدما ولا يضع أخرى إلا فى طاعه الله تعالى ولا يحرك ساكنا ولا يسكن متحركا إلا فى طاعته تحت أمره واشارته ، وهو بمنزلة المجتهد المطلق بالنسبه لمعرفة أحوال الناس وكيفية الارشاد والسلوك بالناس إلى طريق السلامة فى الدين والدنيا والآخرة فيسلك بالمريدين سبيل النبى ﷺ بالصحابه فهم لا يفعلون شيئا ولا يتركونه إلا بإذنه .

والعلماء بالله محدثون فى سرهم من الله تعالى يشهد لذلك قول رسول الله ﷺ « **قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدّثون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم** »(١) .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٥/١٦٦) وكذا البخارى فى فضائل الصحابه .
وقال الحافظ فى الفتح : وإن يك فى أمتى ، قيل لم يورد هذا القول مورد الترديد فإن =

وهذا ما يعرف باسم الإلهام وهو حاصل للصديقين والمقربين ممن دون النبوة والرسالة ، قال تعالى ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه** ﴾(١) ولم تكن بنبيّه .

والإلهام (المحادثة القلبية) تنشأ عن الفكرة والجولان بجواد العبرة فى عالم الجبروت فيتجلى الحق عليه بالتجلى الأعلى فيسمعه كلامه فيفنى عن نفسه فيبقى بلاسماع ولا فهم مع الاستهلاك المطلق ، ثم إذا تجلى عليه الحق ثانيا من عين هذه الحضرة فهم المراد . ويطيب لنا بعد هذا التفصيل أن نتريض فى رياض الصالحين المقربين ونستمع إلى عباراتهم فى هذا العلم العزيز .

قال الإمام الجنيد(٢) رضى الله عنه : العلم اللدنى هو ما كان

= أمته أفضل الأمم وإذا ثبت أن ذلك وجد فى غيرهم فإن وجوده فيهم أولى ، وإنما أورده مورد الترديد كما يقول الرجل : إن يكن لى صديق فإنه فلان يريد أختصاصه بكمال الصداقة ، لا نفى الأصدقاء ، اهـ وهذا الذى عليه المحققون من العلماء .

(١) القصص/٧ .

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد الطائفة كان عالما فقيها ظهرت عليه امارات الفتوح مند صغره وأفتى وهو ابن عشرين سنه تتلمذ فى الطريق على يد خاله القدوة الإمام السرى السقطى . قال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لم يقتد به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . وقال الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ ورؤى فى يده سبحه فقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحه ؟ فقال طريق به وصلت إلى ربى لا أفارقه . وروى أن شيخه السرى أمره بأن يجلس ليعلم الناس فكان يعتذر بقوله حتى يؤذن لى ثم إنه رأى رسول الله ﷺ فى منامه فقال له : أجلس وعلم الناس . فلما أراد أن يكلم شيخه بها فى ذلك بادأه شيخه : ألم أقل لك أجلس وعلم الناس ؟ لم تسمع منى حتى أوصاك رسول الله ﷺ . « ت ٢٩٧ هـ » .

تحكماً على الأسرار بغير ظن فيه ولا خلاف . لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنونات المغيبات . وذلك يقع للعبد إذا زَمَّ جوارحه عن جميع المخلوقات وأفنى حركاته عن كل الإرادات وكان شبحا بين يدى الحق بلا تَمَنٍ ولا مراد .

وقال بعضهم : هو علم غيبى يتعلق بعالم الأفعال وأخص منه الوقوُف على بعض سر القدر قبل وقوع واقعته ، وأخص من ذلك علم الأسماء والنعوت الخاصة وأخص منه علم الذات ومن هذا المعنى قال أبو اليزيد البسطامى رحمه الله تعالى « اخذتم عليكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت » يعنى بطريق الفيض والالهام الربانى لا بطريق التعليم اللفظى والتدريس القولى ، وذلك لأن علوم أهل الله مبنيّة على الكشف والعيان (وهبية) وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية (علوم كسبيّة) .

وهذا العلم معراج الولى إلى حضرة القدس كما صرح الإمام الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى :

« وليعلم أن ما يلقى فى قلب الولى ما هو إلا علوما وأخباراً وكشفا وصولاً بذلك الولى إلى عين اليقين ومنه إلى حق اليقين ، ولا يلقى إليه أحكاما وشرعاً ، » ا هـ من الجوهر والدرر .

وقال أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى الرسالة : « والذى ينبغى أن يعلم أن كلام العارفين المحققين وإن دل على أنه لا مخالفه بين الشريعة والطريقة والحقيقة فى الحقيقة لكنه يدل أيضا على أن فى

الحقيقة كشوفاً وعلوماً غيبية ولذا تراهم يقولون : علم الحقيقة هو العلم اللدنى وعلم المكاشفه ، وعلم الموهبة وعلم الأسرار والعلم المكنون ، وعلم الوراثه إلا أن هذا لا يدل على المخالفة فإن الكشوف والعلوم الغيبية ثمرة الإخلاص الذى هو الجزء الثالث من أجزاء الشريعة فهى بالحقيقه مترتبة على الشريعة ونتيجة لها ومع هذا لا تغير تلك الكشوفات والعلوم الغيبية حكما شرعيا ولا تقيد مطلقا ولا تطلق مقيداً » .

وبعد أن قدمنا عن ماهيّه النبوة والولاية يحسن بنا أن نخلص إلى صفوة الحديث فى مسأله نبوة وولاية سيدنا الخضر عليه السلام فنقول وبالله التوفيق .

اختلف العلماء فى الخضر عليه السلام على أقوال :

أ ـ أنه نبى(١) واختلفوا فى كونه مرسلا أو غير مرسل « وعليه الأكثرون من أهل العلم » .

ب ـ أنه ولى « وعليه الأكثرون من أهل الولايه » .

جـ ـ أنه من الملائكه(٢) « وهو قول غريب باطل »(٣) .

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى (١٥/١٣٥ وما بعدها) باب فضائل الخضر عليه الصلاه والسلام .

(٢) ذكره الماوردى فى تفسيره وهو ينقل الخلاف فى الأقوال التى قيلت فى الخضر

(٣) قاله النووى وعليه غالب أهل العلم ، كما علق ابن حجر عليه قائلا « وهو بعيد » .

د ـ أن مقامه دون النبوة وفوق الصديقيه فهو مقام برزخى له وجه إلى النبوة ووجه إلى الولاية[١] .

هـ ـ أنه صحابى[٢] . قاله العلاقة أمير المؤمنين بن حجر والعلامّه أحمد الصاوى فى حاشيته على الجلالين .

واحتج القائلون بنبوته بوجوه[٣] ، وردَّ عليهم القائلون بولايته كما يتبين لنا فى التفصيل التالى :ـ

١ ـ أنه تعالى قال ﴿ **آتيناه رحمة من عندنا** ﴾ والرحمة هى النبوة بدليل قوله تعالى ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك** ﴾ والمراد من هذه الرحمة النبوة .

ولقائل أن يقول : نسلم أن النبوة رحمة ولا يلزم أن تكون كل رحمة نبوة . قال الإمام مسلم[٤] : لا يلزم أن تكون الرحمة نبوة . فالرحمه هنا طول العمر على قول من ذهب إلى عدم نبوته .

---

(١) ذكره محمد جمال الدين القاسمى فى تفسيرة المسمى محاسن التأويل (٤٠٧٦/١١ ـ ٤٠٩٨) .

(٢) قال الحافظ فى الاصابة (٤٢٧/١ ـ ٤٢٨) وعلى تقدير بقائه إلى زمن النبى ﷺ وحياته بعده فهو داخل فى تعريف الصحابى على أحد الأقوال ولم أر من ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الأكثر إلى الأخذ بما ورد من أخباره فى تعميره وبقائه . وقال العلامه الصاوى . وقد احتمع برسول الله ﷺ وأخذ عنه فهو صحابى . الصاوى على الجلالين (١٨/٣) .

(٣) هذه الوجوه ذكرها الإمام الفخر الرازى فى تفسيره الكبير (١٤٨/٢١) وقد ضمنها رحمه الله الرد على هده الوجوه واحدة تلو أخرى .

(٤) حكاه الشيخ حقى البروسوى فى تفسيره روح البيان (٢٧٠/٥) .

٢ ــ قوله تعالى ﴿ **وعلمناه من لدنا علما** ﴾وهذا يقتضى أنه تعالى علمه لا بواسطه تعليم معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطه البشر وجب أن يكون نبيا يعلم الأمور بالوحى من الله .

وهذا الاستدلال ضعيف لأن العلوم الضرورية تحصل ابتدءً من عند الله وذلك لا يدل على النبوه ... قلت : ولقوله تعالى ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ وهو خطاب لكل مؤمن حصلً التقوى .

٣ ــ أن موسى عليه السلام قال « هل أتبعك على أن تعلمنى » والنبى لا يتبع غير النبى فى التعليم . وهذا أيضا ضعيف لأن النبى لا يتبع غير النبى فى العلوم التى باعتبارها صار نبيا أما فى غير تلك العلوم فلا .

٤ ــ أن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال « **وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا** » وأما موسى فأظهر التواضع له حيث قال « ولا أعصى لك أمرا » . وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق النبى . وهذا أيضا ضعيف لأنه يجوز أن يكون غير النبى فوق النبى فى علوم لا تتوقف نبوته عليها ، فلم قلتم إن ذلك لا يجوز ؟ فإن قالوا : لأنه يوجب التنفير . قلنا : فإرسال موسى إلى التعليم منه بعد إنزال الله عليه التواره وتكليمه بغير واسطة يوجب التنفير ، فإن قالوا : إن هذا لا يوجب التنفير . فكذا القول فيما ذكروه .

٥ ــ احتج الأصم على نبوته بقوله فى أثناء القصة (**وما فعلته عن أمرى**) ومعناه فعلته بوحى الله وهو يدل على النبوة .

وهذا أيضا دليل ضعيف وضعفه ظاهر .

قلت : يمكن أن يخرج المعنى : فعلته بإلهام الله ، والإلهام ثابت فى حق الأولياء كما مر عليك قال تعالى ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾[1] .

٦ ـ « **ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال السلام عليك ، فقال : وعليك السلام يا نبى بنى إسرائيل . فقال موسى عليه السلام : من عرفك هذا ؟ قال : الذى بعثك إلىَّ** »[2] . قالوا : وهذا يدل على أنه إنما عرف ذلك بالوحى والوحى لا يكون إلا مع النبوة . ولقائل أن يقول : لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والإلهامات .

٧ ـ الخضر قتل الغلام وما كان ذاك إلا بالوحى من الله إليه . وهو برهان ظاهر على عصمته لأن الولى لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى فى خلده لأن خاطره ليس بواجب العصمه[3] ولقائل أن يقول : سلمنا بعصمة الأنبياء ولكن هل نسينا الحفظ للأولياء .

٨ ـ لا سبيل إلى القول بأنه إلهام لأن ذلك لا يكون من غير نبى وحيًا حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس وتعريض الأنفس للغرق[4] . ولقائل أن يقول : وهل غاب عنا قول الله لأم موسى عليه

---

(١) الانفال/٢٩ .

(٢) أحرجه عبد بى حميد مى طريق الربيع بن أنس ونصه : السلام عليك يا خضر فقال وعليك السلام يا موسى قال : وما يدريك أنى موسى قال : أدرانى بك الذى أدراك بى .

(٣) قاله : ابن الجورى والرمالى وابن كثير . البداية والنهاية (١/٣٠٥ ـ ٣٠٦) .

(٤) قاله ابن حجر العسقلانى فى الإصابة فى ترجمه الخضر عليه السلام .

السلام ﴿ **فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم** ﴾ قال ابن كثير رحمه الله بعد أن عرض كغيرة من العلماء وجوه نبوته :

فدلت هذه الوجوه على نبوته ولا ينافى ذلك حصول ولا يته ولا رسالته[1] . وتبقى لنا بعد ذلك أن نورد بعض آراء السادة العلماء مجردة .

قال أبو اسحاق الثعلبى فى العرائس : والصحيح أن الخضر نبىٌّ معمرٌ محجوب عن الأبصار[2] قال أبو حيان : والجمهور على أنه نبى وكان علمه معرفه بواطن أوحيّت إليه وروى عن ابن عباس أنه كان نبيا غير مرسل[3] .

وقال وهب بن منبه فى المبتدأ : كان نبيا مبعوثا إلى بنى إسرائيل بتجديد عهد موسى[4] .

ذكر ابن اسحاق : أن الله استخلف على بنى إسرائيل رجلاً منهم وبعث الخضر معه نبياً قال الحافظ بن حجر : أى أيده الله به إلا أن ذلك الوقت كان وقت إنشاء نبوته فلا يمتنع أن يكون نبيا قبل ذلك ثم أرسل من ذلك الوقت وإنما قلت ذلك لأنه غالب أخباره مع موسى هى الداله على تصحيح قول من قال : إنه كان نبيا[5] . ومما يستدل

---

(١) البدايه والنهاية (٣٢٨/١) .

(٢) نقله القرطبى فى تفسيرة لسورة الكهف ص٤٠٨٢ طبعة الشعب . وفى الاصابه (٤٢٩/١) .

(٣) الاصابة (٤٢٩/١) .

(٤) المصدر السابق (٤٣٠/١) .

(٥) الاصابة (٤٣٠/١) .

به ما رواه الطبرانى فى الكبير من وجهين عن أبى أمامة الباهلى مما كان من أمر الخضر لما بيع رقيقا فى سوق بنى إسرائيل ليفتدى مكاتبا وفيه قول من اشتراه عندما اكتشف أنه الخضر « **بأبى أنت وأمى يا نبى الله ، احكم فى أهلى ومالى بما شئت** »[١] قال الحافظ[٢] : ولو ثبت الحديث لكان نصا أن الخضر نبى لحكاية النبى ﷺ قول الرجل يا نبى الله وتقريرة على ذلك وقال الشيخ محى الدين بن عربى : أبقى الله تعالى بعد وفاته عليه الصلاة والسلام من الرسل الأحياء بأجسادهم فى هذه الدار أربعة : إدريس وإلياس وعيسى والخضر عليهم السلام ، والثلاثة الأول متفق عليهم والأخير مختلف فيه عند غيرنا لا عندنا . وجزم طائفة من أهل العلم بولايته عليه السلام وظاهرهم على رأيهم هذا علماء السادة الصوفية ممن رسخوا فى العلوم الظاهرة وتحققوا فى العلوم الباطنة وسبقوا فى أمور الآخرة :

قال الإمام القشيرى فى رسالته : لم يكن الخضر نبيا وإنما كان وليّا .

وبذلك قال : أبو على بن أبى موسى الحنبلى وأبو بكر بن الأنبارى[٣] .

وقال الشيخ الإمام الحافظ/ محمد بن عبد اللطيف بن سالم التجانى ما نصة :

---

(١) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب : حسّن بعض مشايخنا اسناده وفيه بُعدٌ والله أعلم .

(٢) الاصابه (١/٤٣٣) .

(٣) المتوحات المكيه الباب الثالث والسبعين : وذكره الألوسى فى تفسيره (١٥/٣٢٨ ـ ٣٢٩) .

وقد ذكر جميع المحققين أنه ولى ودليلهم على ذلك قول سيدنا موسى عليه السلام له « لقد جئت شيئا إمرا » و « لقد جئت شيئا نكرا » وهذا لا يصح أن يخاطب به نبى(١) وعلى هذا يكون بعض الأولياء قد يعلم شيئا لا يعلمه بعض الأنبياء ولا ضير على الوزير أن يعلم الحارس بعض أمور لا يعلمها .

وقال العلامة البروسوى : « تعليم موسى وتربيته بالخضر إنما هو من قبل تعليم الأكمل وتربيته بالكامل ، ولا يلزم من توسط الكامل أن يكون أكمل من الأكمل أو مثله ، والكامل كامل مطلقا والأكمل أكمل مطلقا »(٢) .

ولا يخفى على القارىء الكريم المعتقد فى أهل المعرفة بالله السادة الأولياء رضى الله عنهم أنهم لا يروون عن الخضر عليه السلام بالتخيل والوهم بل يروون عن حقيقة إلتقائهم به وتلقيهم عنه واستفادتهم منه فليس من رأى كمن سمع ، ولا تقوم حجج الأفهام أمام تجلى أنوار الكشف والعيان .

وبعد أن عرضنا لزبدة أقوال الفريقين رضى الله عنهم وجزاهم الله عز وجل عن الإسلام وأهله خير الجزاء نود أن نشير إلى بطلان قول من قال بأنه من الملائكة كما سبق بيانه ، أما قول من قال بأنه من الصحابه فذلك على تقدير ثبوت قول القائلين بحياة الخضر عليه

---

(١) نقله الحافظ فى الاصابه .

(٢) بناءً على القول بعصمة الأنبياء ، فلو كان الخضر نبيا لكان معصوماً ولما قابله موسى بمثل هذا الخطاب لعلمه بنبوته أى بعصمته : والله أعلم .

(٣) روح البيان . اسماعيل حقى البروسوى (١٥/٢٦٨) . يرفعه إلى شيخه .

السلام وقد مر عليك نزر من ذلك وسيأتى الحديث مفصلا بمشيئة الله تعالى على حياته .

إلا أنه يتبقى لنا فى هذا الباب سانحه جَلّاها الحق تبارك وتعالى لعبده الفقير فإن صدقت ازاحت الخلاف القائم بين أهل العلم فى ذلك ووفقت بين الآراء وهى من قبل ومن بعد إشراقة المقل وهى كما يلى :

من المعلوم لدينا أن مقام النبوة يندرج فيه مقام الولاية فكل نبى ولى ولا يشترط عكسه والقائلون بنبوته اعتمدوا على بقية من أثر فى ذلك وعلى ما تكاثر لهم من أدله واستنبطته قرائحهم ، والقائلون بولايته اعتمدوا كذلك على ما تجلى لقرائحهم من أدله الشرع الحنيف بالإضافة إلى ما امتازوا به رضى الله عنهم من استعداد أرواحهم وهى تجوب فى الملكوت وتلتقط درر الحقائق ونفائس الدقائق ولتلتقى فى سياحتها فى الله بمن يدلها عليه كالخضر عليه السلام(١) فيكون لهم موجها مرشدا ومعينا صادقا . وكم حدثوا عن ذلك بكم مستفيض من الوقائع والاحداث . وروى ذلك رجال أثبات لا يرد الكذب على خواطرهم فضلا عن أن تتلفظ بهم ألسنتهم فهم مؤمنون ولا يكذب المؤمنون(٢) .

(١) ودلك على تقدير القول بحياته عليه السلام وسيأتى أدله دلك بمشيئه الله تعالى .

(٢) قال رسول الله ﷺ « **الكذب مجانب الإيمان** » رواه البيهقى عں أبى بكر وعں صفوان بن سليم قيل لرسول الله ﷺ « **أيكون المؤمن كذّابا ؟ قال : لا** » رواه مالك مرسلا

ومحل الشاهد فيما يجب أن يقوم فى قلب التابع المحمدى الذى التقى بالخضر عليه السلام .

لو وقع فى قلبه أنه يتلقى من نبى لأحدث ذلك فى نفسه أمراً عظيماً ولوقع بالتالى فى قلبه إلتفات عن الأسوه المثلى والقدوة العظمى رسولنا المقدم ﷺ ومن هنا يقع البين والحجاب لأن الحبيب الأعظم ﷺ قال لعمر بن الخطاب « **والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين** »[1] و « **لو أن موسى ﷺ كان حيا ماوسعه إلا أن يتبعنى** »[2] ومن هنا فلا يكون الأخذ منه عليه السلام إلا على أساس أنه تابع محمدى أيضا كما سبق فى الحديث عن موسى عليه السلام وكما ورد فى الحديث عن سيدنا عيسى عليه السلام عندما ما ينزل فى آخر الزمان فيقيم شرع نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام كأنه تابع محمدى فإذا كانت طبقة أولى العزم عليهم السلام توابع محمديه فلابد وأن يكون من دونهم كذلك تحقيقا لقوله تعالى ﴿ **لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذالكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾[3] .

وإذا راعينا هذه الدقيقة فالأوفق للولى أن يتلقى عن الخضر عليه السلام على أساس اتحادهما فى المشرب المحمدى ولعلنا نتذوق ذلك فى

---

(١) رواه احمد فى مسنده ٤٧١/٣ ، ٢٦٦/٤ .

(٢) احمد ٣٨٧/٣ .

(٣) آل عمران/٨١ .

كافه توجيهاته التى رواها الأكابر[1] عنه وحدثوا أنه كلمهم بها وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديّم .

(١) سفرد باباً بمشيئة الله تعالى للحديث عن أجود هذه الروايات .

الفصل السادس

حياتُهُ وتعميرُه عليه السلام

يعتبر هذا الفصل بحق فصلا من فصول العجب الذى لا ينتهى فى قصة الخضر عليه السلام ، ولعل المطّلع عليه لأول وهلة يظنه حديث خرافة ، لكنه إذا تفحص فى الأدله وحقق فى البراهين إستبان له أن الأمر حق لا شك فيه وصدق لا زور فيه .

وفى محاولة منا لاستجلاء حقيقة ما يُشاع عن موت الخضر أو حياته عليه السلام يمكن أن نلخص ما جاء فى هذا الصدد فى ثلاثة أقوال على النحو التالى :

أولاً ـ أنه مات عليه السلام(١) : وإليه ذهب ابراهيم الحربى وأبو الحسين المنادى وأبو الفرج بن الجوزى وغيرهم .

ثانياً ـ أن الحياة امتدت(٢) حتى زمن النبى ﷺ ومات بعد وفاته بمئه سنة ، وإليه ذهب البخارى وأبو بكر بن العربى .

---

(١) البداية والنهاية (٣١٢/١) .

(٢) البداية والنهاية (٣١٤/١) قال ابن كثير وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلى فى التعريف والاعلام « **عن البخارى وشيخة أبى بكر العربى أنه أدرك حياة النبى ﷺ ولكنه ، مات بعده . لحديث عبد الله بن عمر قال : صلى بنا رسول الله ﷺ**

ثالثاً ــ أن حياته باقية إلى يومنا هذا[1] وأنه مدّ فى أجله حتى يكذّب الدّجال وعليه الجمهور .

وسوف نتعرض بمشيئة الله تعالى لكل من هذه الأقوال الثلاثة بشيء من التفصيل حتى نتبين سند كل فريق وحجة الفريق الآخر فى الرد عليه والله المستعان وعليه التكلان فنقول وبالله التوفيق ومنه المدد والتأييد ....

أولا : الكلام على وفاته :

استدل أصحاب الرأى الأول بعدة إستدلالات وردَّ عليهم من خالفهم كما يلى :

١ ــ قالوا : يجب القول بوفاة الخضر رعاية لقوله تعالى ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾[2] ولقائل أن يرد قائلا : المراد من الخلد فى الآية الدوام الأبدى والقائلون بوجوده اليوم لا يقولون بتأبيده بل منهم من يقول إنه يقاتل الدجال ويموت كما جاء فى صحيح مسلم وعبد الرزاق فى مصنفه[3] ، ولا شك أن حياة الخضر منقطعه

ذات ليلة صلاة العشاء فى آخر حياته فلما سلّم قام فقال . أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائه سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض » رواه مسلم ورواه البخارى وأحمد والترمذى بنحوه .

(١) البداية والنهاية (٣٠٦/١) قال بن كثير وأما الخلاف فى وجوده إلى زماننا هذا فالجمهور على أنه باق إلى اليوم وجاء فى صحيح مسلم شرح النووى (١٣٥/١٥) قال النووى رحمه الله : جمهور العلماء على أنه حى موجود بين أظهرنا . وقال الشيخ أبو عمر بن الصلاح هو حى عند جماهير العلماء والصلحين والعامة معهم فى ذلك .

(٢) الأنبياء/٣٤

(٣) سيأتى ذلك مفصلا قريبا بمشيئة الله تعالى .

عند الصعقه قبل القيامة فيمتنع الخلود . ومن المعلوم أن سيدنا عيسى عليه السلام لا زال حيا إلى الآن وسينزل فى آخر الزمان وتسرى عليه سنة هذه الآية بالمفهوم الذى أسلفنا .

٢ ـ وقالوا : لا يجوز أن يكون الخضر باقيا لقول النبى ﷺ « **لا نبى بعدى** »(١) ولقائل أن يرد قائلا : لا عبرة ولا دليل فى هذا الكلام لأن وقت إنشاء نبوته لم تكن بعد نبينا ﷺ بل قبله فهذا سيدنا عيسى عليه السلام ينزل حاكما بشرعة سيد الأكوان عليه الصلاة والسلام ولم يمتنع ذلك بل ثبت ذلك فى السنة الصحيحة(٢) .

٣ ـ وقالوا : شاع الاستدلال على وفاة الخضر بحديث « **لو كان الخضر حيا لزارنى** » ولقائل أن يقول : هذا الحديث موضوع لا أصل له(٣) فيسقط الإستدلال به .

٤ ـ وقالوا : لو كان الخضر حيّا فى زمن رسول الله ﷺ لكان بين يديه وتحت أمره وفى عموم شرعه ولأتى إليه وحارب بين يديه وكان ظهورة أعظم لأجره وأظهر لمعجزته .

ولقائل أن يرد قائلا : سبق أن ذكرنا أن حديث هذا الباب موضوع(٤) بالإضافة أن وجوب الإتيان ممنوع وغير محكوم به فكم

---

(١) أخرجه البخارى بلفظ « إلا أنه ليس بعدى نبى » . كتاب المغارى (٧١٦/٧) وكذا مسند أحمد (٣٣٨/٣) .

(٢) أجاب ابن حجر فى الاصابه بمعناه .

(٣) قال الألوسى : هو كما قال الحفاظ خبر موضوع لا أصل له ، تفسير روح المعانى (٣٢٢/١٥) .

(٤) الحديث الموضوع الذى سبق ذكرة « **لو كان الخضر حيا لزارنى** » .

من مؤمن به ﷺ فى زمانه لم يأته ، وهذا خير التابعين أويس القرنى رضى الله عنه لم يتيسر له الإتيان والمرافقة فى الجهاد وكذا النجاشى هذا فى عموم القول ولكن الراجح عندنا أن الخضر كان يأتيه ويتعلم منه لكن على وجه الخفاء لعدم كونه مأموراً بإتيان العلانية لحكمة آلهية اقتضت ذلك(١) ولعل ظهوره جهرةً بين أصحاب رسول الله ﷺ يلفتهم عن صاحب الدعوة والرسالة ﷺ والمطلوب تمام الاستغراق بالكلية فى دعوة خير البرية ﷺ(٢) ، وليس مراد إظهار معجزة غيره ﷺ كما قال : « لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا إتباعى » فالمختار أنه أتى وبايع لكن باطنا حيث لا يشعر به احد وقد عده جماعه من أرباب الأصول فى الصحابه ولذا ذكره العلامة الحافظ الحجة أمير المؤمنين ابن حجر العسقلانى ـ ذكره ـ فى كتابه الاصابه فى تمييز الصحابه فى القسم الأول من أقسامه(٣) . فترجح لديه صحبته فترجم له بين الصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

هذا بالإضافة إلى أن صاحب العلم اللدنى لا يكون مشتغلا إلا بما علّمه الله تعالى وصيّره فيه فى كل مكان وزمان بحسب ما يقتضى الأمر والشأن « وما فعلته عن أمرى » فلا يصح الاعتراض بعدم حضور الجهاد أو غيره مع النبى ﷺ(٤) .

---

(١) راجع روح المعانى (٣٢٣/١٥) بتصرف .

(٢) راجع ما اشرنا إليه فى الباب السابق عن خطورة الالتفات الروحى فى نفس المدعوين .

(٣) وسيأتى الكلام على ذلك مفصلا من الإصابة بمشيئة الله تعالى .

(٤) روح المعانى (٣٢٧/١٥) بتصرف .

ثم إنك لو نظرت فى التوجيهات الوارده على لسان الخضر عليه السلام والتى قيلت لكل من حدّث أنه رآه أو اجتمع به لرأيت كل هذه التوجيهات نابعه من عين الشرعه المحمديه[1] مما يدلل على أن قائلها زاده محمدى بل ومن أجلّ حوارييه ﷺ .

٥ ـ وقالوا : لا يجوز القول بحياة الخضر عليه السلام لأن النبى ﷺ أثبت الإيمان لجماعة المؤمنين معه فقط كما قال ﷺ فى دعائه يوم بدر « **اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض** »[2] . وليس الخضر معدودا فيهم .

ولقائل أن يرد قائلا : إن مقاله رسول الله ﷺ لا تنفى الإيمان عن غير الفئة التى حاربت معه وإلا فكم من مؤمن كان بالمدينة وغيرها ولم يحضر بدرا وكم مؤمن كان بمكه وحولها يكتم إيمانه فمعنى الدعاء إذن أنك لا تعبد على وجه الظهور والغلبة والتكمن وقوة الأمة ، بل بأفراد من المؤمنين مبعثرة لا قوة لهم ولا صولة بل ولا منعه .

٦ ـ وقالوا : لم ترد أحاديث تسكن إليها النفس تدلل على بقاء الخضر عليه السلام إلى عصر النبوة فضلا عمن بعده .

ولقائل أن يرد قائلا : قد وردت أحاديث فى ذلك حكم عليها الحافظ ابن حجر العسقلانى بالحسن[3] منها . ما رواه أحمد فى الزهد

---

(١) راجع ذلك فيما يساق إليك من تفصيل بمشيئة الله تعالى .

(٢) أخرجة مسلم فى كتاب الجهاد (٣٢٨/١٢) ولفظة « **اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض** » ، وأخرجه الإمام أحمد (٣٠/١) .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ابن حجر العسقلانى (٣٣٧/٦) .

باسناد حسن عن ابن أبى رواد « **إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام** » .

ومنها ما رواه الطبرى فى تاريخة عن عبد الله بن شوذب قال « **الخضر من ولد فارس وإلياس من بنى إسرائيل يلتقيان فى كل عام بالموسم** » . بالموسم أى بموسم الحج بمكة حرسها الله تعالى .

وسيأتى مزيد بيان فيهذه الصدد بمشيئة الله تعالى عند مراجعة حجج القائلين بحياته .

٧ ـ وقالوا : الروايات والحكايات هى عمدة من ذهب إلى حياته إلى يوم والحكايات لا يخلوا أكثرها عن ضعف الإسناد وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابى أو غيرة لأنه يجوز عليه الخطأ(١) .

واعترض على ذلك بأن الحكايات وحدها ليست عمدة القائلين بحياته بل إن رغبة غيرهم فى ردّ كل ماورد فى هذا الشأن بتوهينه ولو لم يكن محلا للتوهين أو تأويله ولو لم يكن محلا للتأويل وذلك لتمام ظهورة ـ هى التى أدت بهم للاحتكام للمنطق فحسب مع أنه يصيب ويخطىء وعدم القدرة على تصور أن خالق السنة والناموس له أن يخرقه بمشيئته طبقا لحكمته العلية جل شأنه .

ثم إن المتكلم عن ضعف الروايات لم يجرم بأن كلها ضعيفه الاسناد بل قال أكثرها ولذلك تجده يستدرك قائلا وقصارها أنها صحيحة ، وإذا كان فات على صاحب هذا القول الكتير من الروايات

---

(١) ابن كثير . البداية والنهاية (١/٣١١)

الصحيحة والحسنة الاسناد فالحجة حينئذ لمن وعى وليس لمن ادّعى(١) .

وإذا سلمنا أن الصحابى ليس بمعصوم فلا يجب أن يفوتنا أن الصحابه مجمع على عدالتهم وامانتهم وكيف نسوغ لأنفسنا تجوّيز الخطأ على الصحابة أو من عداهم من رواه الحديث من رجال البخارى ومسلم المتفق على عدالتهم وضبطهم ولا نجوّز الخطأ على أنفسنا ؟! هل أدركنا مالم يدركوا وهم سلفنا الصالح ؟ أو بأن لنا أن الصحابه أو رجال السند اختلفوا فى ذلك ؟ كلا والله بل تناقلوه كالمعروف فيما بينهم(٢) .

ومن وراء ذلك تناقله أئمه ثقات من أجلّه الحفاظ والمحدثين(٣) سيأتى بيانهم بمشيئة الله عز وجل مفصلا تفصيلا .

---

(١) سيأتى بمشيئة الله تعالى مفصلا .

(٢) فى الصحيحين من طريق معمر عن الزهرى أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبه أن أبا سعيد قال . حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدّجال وقال فيما يحدثنا يأتى الدّجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيرهم فيقول أشهد أنك أنت الدّجال الذى حدثنا عنك رسول الله ﷺ بحديثه ، فيقول الدّجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم احييته أتشكون فى الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحيى ، والله ما كنت أشد بصيرة فيك منى الآن قال فيريد قتله الثانية فلا يسلط عليه . قال معمر بلغنى أنه يجعل على حلقه صحيفة من نحاس وبلغنى أنه الخضر الذى يقتله الدجال ثم يحييه .

(٣) كأبى طالب المكى والحكيم الترمذى فى نوادره ، قال ابن كثير : روى ابن عساكر أن الخضر إجتمع بإبراهيم التيمى وسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكرهم (٣١١/١) .

« وقد ثبت وجود الخضر عليه السلام فلا يكون عدمه إلا بدليل ، ولا دليل على موته ولا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ، ولا نقل أنه مات بأرض كذا فى وقت كذا »(١) .

ولقائل أن يقول : العجب من ابن كثير رحمه الله يرد هذه الروايات على أساس ضعفها وأنها لا تنهض أن تقوم دليلا ثم يخالف الأصل الذى اعتمده ويرجع إلى قاعدة علماء أهل الحديث أن الضعيف يقوى بعضه بعضا فتراه يعلق على ذكر قس بن ساعده الأيادى(٢) بعد أن أستشهد بطرق ضعاف عليها فيقول : وأصله مشهور وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة فى إثبات أصل القصةوتراه يستدل بمقاله البيهقى : وإذا روى الحديث من أوجه وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا فالأولى أن نجرى هذه القاعدة دائما أبدا ، فثبت من مقاله أن للحديث حياة الخضر أصلا والله أعلم .

٨ ـ تصدى أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله(٣) للأحاديث الواردة فى ذلك من المرفوعات فحكم بأنها الموضوعات ، ومن الآثار عن الصحابه والتابعين فمن بعدهم فحكم بضعف أسانيدها ببيان حالها وجهاله رجالها .

---

(١) كذا قاله الشيخ اسماعيل حقى البروسوى روح الله روحه فى تفسير روح البيان (٢٦٨/١٥) .

(٢) راجع البداية والنهاية (٢٢٠/٢) .

(٣) فى كتابه عجاله المنتظر فى شرح حالة الخضر .

واعترض على ذلك بأن أئمة الحديث نصوا على عدم التسليم لابن الجوزى فى الحكم على الحديث ومنهم الشيخ ابن الصلاح فى مقدمته حيث قال : أنه يحكم بالوضع على أحاديث من حقها الرفع .

وربما جهّل باعلام أو جرّح ما ليس بمجروح وإليك أمثله على ذلك بما حققه أمير المؤمنين ابن حجر فى الاصابه(١) :

أ ـ من رواية ابن شاهين(٢) حدثنا محمد بن عبد العزيز الحرانى حدثنا أبو طاهر خير بن عرفه وساق بقية الاسنادقال ابن الجورى : وخير بن عرفة لا يدرى من هو . قلت : هو محدث مصرى مشهور واسم جده عبد الله بن كامل يكنى أبا الطاهر روى عنه أبو طالب الحافظ شيخ الدارقطنى وغيره مات سنة ٢٨٣ هـ .

ب ـ تعرض ابن الجوزى لسند حديث التعزيّة(٣) فى وفاة النبى ﷺ فقال : ورواه محمد بن أبى عمر عن محمد بن جعفر وابن أبى عمر مجهول .

قات : هذا الاطلاق ضعيف . ابن أبى عمر أشهر من أن يقال فيه

---

(١) الاصابه فى تمييز الصحابه ابن حجر (٤٣٧/١ـ٤٣٨) .

(٢) ابن شاهين : الحافظ الإمام المفيد المكثر محدث العراق أبو حفص عمر ابن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادى الواعظ المعروف بابن شاهين صاحب التصانيف . سمع من ابن الباغندى وابن البرتى والبغوى وروى عنه الماليبى التنوحى وأبو محمد الحلال . قال ابن ماكولا والأرهرى وابن أبى الفوارس : ثقه مأمون وقال الدارقطنى ابن شاهين يلج على الخطأ وهوثقه . توفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٣) الاصابه (٤٤٠/١) .

هذا ، هو شيخ مسلم وغيره من الأئمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور مروى .

جـ ـ تكلم ابن الجوزى على أحد رجال روايه مقابلة الخضر لعمر بن عبد العزيز وتبشيره بأنه سيلى أمر هذه الأمة وسيعدل فيها فقال : الرملى : مجروح عن العلماء . ومع أن ابن حجر جوّد هذا الاسناد وقال هذا أصلح اسناد وقفت عليه بالباب(١) ، فإننا نسوق كلام الحافظ الذهبى فيه(٢) : الرملى مشهور ما فيه مغمز ، وثقه أحمد ويحيى بن معين وقال أبو حاتم صالح الحديث .

وقال فى التذكرة(٣) : العبد الصالح المأمون . قال ابن سعد : ثقة مأمون .

وقدح أبو الحسين المنادى فى بقيه رجال الإسناد الفائت فى ضمرة والسرى ورباح(٤) ولا مطعن فيهم بل هم أئمة كبار وستأتى أقوال الأئمة فيهم عند بسط أدلة حياته عليه السلام . وبعد هذا العرض البسيط لا يمكن التسليم لابن الجوزى رحمه الله فيما ذهب إليه حيث تأكد أن التحقيق مع غيرة من الأئمة فوجب العدول عن رأيه إلى رأيهم .

---

(١) الاصابه (٤٣٦/١) .

(٢) ميزان الاعتدال (٣٣٠/٢) .

(٣) التذكرة (٣٥٣/١) .

(٤) والعجب من ابن كثير يحكى هذا فى كتابة ولا ينتصف للرجال مصححاً ما اتفق عليه أئمة الحرح والتعديل البداية والنهاية (٣١١/١) .

٩ ـــ وقالوا : نعم كثرت الأخبار فى الحديث عن أحوال الخضر عليه السلام لكن لا يستفاد منها التواتر المعنوى وأجاب ابن حجر عن هذا قائلا : بل يستفاد من هذه الأخبار التواتر المعنوى ، لأن التواتر لا يشترط ثقة رجاله ولا عدالتهم ، وإنما العمدة على ورود الخبر بعدد يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب فإن اتفقت ألفاظه فذاك وإن اختلفت فمهما اجتمعت فيه فهو التواتر المعنوى[1] ، وهذه الحكايات تجتمع فى أن الخضر حى .

ونقل الألوسى[2] أنه يكفى فى ثبوته اجماع المشايخ العظام وجماهير العلماء الأعلام فقد نقل هذا الاجماع ابن الصلاح والنووى وغيرهما من الأجلة الفخام .

وقال الشيخ عمر بن الصلاح : هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك وانما شذ بإنكاره بعض المحدثين[3] .

وقال النووى[4] رحمه الله تعالى : جمهو العلماء على أنه حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة ، وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر

---

(١) الاصابه (٤٣٢/١) بتصرف .

(٢) روح المعانى (٣٢٦/١٥) .

(٣) شرح صحيح مسلم . النووى (١٣٧/١٥)

(٤) شرح صحيح مسلم . النووى (١٣٦/١٥)

من أن يستر . وكذا قاله غير واحد من الأئمة[١] المشهود لهم وإنما إكتفينا بذكر أفراد منهم خشية الإطالة .

١٠ ـ وقالوا : روى عن بعض الصوفية أن لكل زمان خضرا وأنه نقيب الأولياء وكلما مات نقيب أقيم بعده مكانه يسمى خضرا وهذا يطرق القطع بحياته .

ولقائل أن يرد ذلك قائلا : الكلام بهذا اللسان موهم بأنهم سلموا للصوفية فيما تعارف عليه البعض منهم وهذا لا يكون منهم أبدا بالإضافة إلى ما فيه من بعد عن صلب القضية وإهمال لردود السادة العلماء على ما سبق إثارته من مسائل مهمه . لكن لابأس من الحديث على هذه النقطة فإن الحديث عنها يتلخص فى الكلام على المثال والحقيقة والفرق بينهما واضح ، والافاضة واقعة دائما من الحقيقة على المثال ، فظهور الإفاضة على المثال مثبته لأصالة وجود عين الحقيقة . أيكون المثال ولا تكون حقيقته ؟؟ !

ويجب أن نقرر أنه ليس لكل مرئى فى اليقظة تمثلا كما فى المنام ، وعليه فربما ظهر المثال وربما ظهرت حقيقتة ولله فى كل شيء حكمت بالغة .

١١ ـ قال التقى ابن تيميه الحرانى[٢] « ربما تصور الشيطان

---

(١) قال القرطبى : وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمد عبد المعطى بن محمود بن عبد المعطى اللخمى فى شرح الرسالة القشيرية له حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات بأنهم رأو الخضر عليه السلام ولَقُوْهُ يفيد مجموعها غاية الظن بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبى وغيرهما . (تفسير القرطبى سوره الكهف/٤٠٨٢) .

(٢) راجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . لابن تيميه ص٦٠٠ .

لبعض الناس ويقول له : أنا الخضر وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبة ، كما جرى ذلك لغير واحد من المسلمين » ولا أدرى كيف تكلم بهذا رحمه الله مع غزارة علمه ، فكيف يشدد هو وطائفته على ثبوت نبوة الخضر عليه السلام ثم يجوّز تمثل الشياطين بالأنبياء عليهم السلام وهم ممنوعون من ذلك . وأحاديث البخارى ومسلم خير شاهد على ذلك « **فإن الشيطان لا يتمثل بى** »[1] و« **لا يتخيّل بى** »[2] و« **لا يتمثل الشيطان بى** »[3] وما كان لنبينا ﷺ فهو منسحب على سائر الأنبياء السابقين فالحكم فى المنع قائمة عند الجميع[4] ، فلو خُلّى بين الشيطان والتمثل لألقى فى نفوس الأتباع ما شاء من ضلال وكفران وهم يحسبون أن القول لنبيهم ولا يستقيم هذا أبدا .؟!

وممن أفرط فى تسفيه مخالفيه أبو الحسين بن المنادى عندما قال : بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا ؟ فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق . أقول : عفا الله عنك وعافانا من الخروج على أصول وآداب المحاجة هل تخيّل الشيخ طابور من غَفَّلهم بزعمه وهم من صفوة الأمه المحمديه من عصر الصحابه حتى يومنا هذا ؟!

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى (٢٤/١٥) ونصه « **من رآنى فى المنام رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى** » .

(٢) صحيح البخارى كتاب التعبير باب من رأى النبى ﷺ (٣٣/٩) ونصه « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتخيل بى ، ورؤيا المؤمن جزء من سته وأربعين جزءاً من النبوة » .

(٣) المصدر السابق .

(٤) قال العلامّة المناوى فى فيض القدير (١٣١/٦) ومنه أخذ أن جميع الأنبياء كذلك . ونحوة فى فتح البارى (٤٠٤/١٢) .

يكفينا أن نعقب على ذلك بلطيفة رويت عن ذى النون المصرى[1] وقد سألهرجل الدعاء فقال للسائل : « إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى » .

ثانيا : القول بصحبته لادراكه زمن النبى ﷺ :

وتبقى لنا أن نناقش حجة من قال بأن الخضر عليه السلام أدرك حياة النبى ﷺ لكنه مات بعده بمئة عام على الأكثر ، وعمدة استدلالهم بما روى فى الصحيحين[2] وغيرهما من عدم بقاء أحد فى خلال مئة سنه من مقالة النبى ﷺ ، وفى هذا الرأى تصريح ضمنى ببقاء الخضر وإدراكة لعهد النبوة وأصحاب ذلك الرأى يردون على القائلين بانقطاع حياته ابتداءً ويردون حججهم ويوافقون القائلون بطول حياته وإدراكة لعهد النبوة وإنما الخلاف فحسب لمراعاة ما نص عليه الحديث ومعطيات ظاهِره .

لكن القائلون بحياته إلى الآن أجابوا عن الاستدلال بهذا الحديث

---

(١) الرساله القشيريه ، أبو القاسم عبد الكريم القشيرى (١/٥) وذو النون المصرى هو أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم كان نوبيا توفى ٢٩٥ هـ كان من أجله العارفين العابدين الذائقين . تكلم بالحكمه وفصل الخطاب . من كلامه رضى الله عنه : لحنّا فى العمل وأعربنا فى الكلام فكيف نفلح . وقال : من نظر فى عيوب الناس عمى عن عيب نفسه وسئل عن السلفة من خلق من هم ؟ فقال من لا يعرف الطريق إلى الله تعالى ولا يتعرفه . وقال : إياك أن تكون للمعرفة مدعيا أو بالزهد محترفا أو بالعبادة متعلقا وفر من كل شىء إلى ربك .

(٢) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائه سنه منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد** » رواه مسلم وكذا رواه البخارى واحمد والترمذى نحوه .

فى هذا الشأن فقالوا : العموم وإن كان مؤكداً الإستغراق فليس نصا فيه ، بل هو قابل للتخصيص فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فإنه لم يمت ولم يقتل فهو حى بنص القرآن ومعناه . ولا يتناول الدّجال مع أنه حى بدليل حديث الجساسة(١) فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهداً للناس ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حاله مخاطبة بعضهم ، فمثل هذا العموم لا يتناولة(٢) ، وحاصله انخرام القرن الأول كما قال ابن عمر رواى الحديث .

ثالثا : حجة القائلين بتعميره وحياته حتى يكذب الدّجال :

وتتلخص أدلة هذا الفريق فى نوعين من الاستدلال .

أ ــ دليل النقل .   ب ــ دليل الاستقراء .

وقبل الشروع فى بيان هذه الأدله يحسن بنا أن نستعرض الأسباب التى قيلت فى تعميره .

أولا : إصابة الخضر لدعوة سيدنا آدم عليه السلام .

ذكر ابن إسحاق فى المبتدأ(٣) قال : حدثنا أصحابنا أن آدم لما حضره الموت . جمع بنيه وقال إن الله تعالى منزل على أهل الأرض عذابا فليكن جسدى معكم فى المغارة حتى تدفنونى بأرض الشام فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه إن آدم دعا الله أن يطيل عمر الذى يدفنه

---

(١) قال تعالى ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ .

(٢)راجع تفسير القرطبى ــ سورة الكهف ص٤٠٨١ .

(٣) الاصابه (٤٣٠/١) ، والمعمرون والوصايا لأبى حاتم السجتانى ص٣ بتفصيل أكثر ، فتح البارى شرح صحيح البحارى (٣٧٧/٦) . أحاديث الأسياء .

إلى يوم القيامة فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذى تولى دفنه وأنجز الله له ما وعده فهو يحيا إلى ما شاء الله أن يحيا .

ثانيا : روى ابن عساكر فى ترجمة ذى القرنين(١) . من طريق خيثمة بن سليمان بالسند إلى جعفر الصادق عن أبيه أن ذا القرنين كان له صديق من الملائكة فطلب منه أن يدله على شيء يطول به عمره فدله على عين الحياة وهى داخل الظلمة فسار إليها والخضر على مقدمته فظفر بها الخضر ولم يظفر بها ذو القرنين .

ويمكن الجمع بينهما أن الخضر لما حظى بدعوة آدم عليه السلام كانت الحادثة التالية بمثابة استجابة لدعوة آدم عليه السلام .

وبغض النظر عن درجة الرواية فى كليهما فإن سوقهما على سبيل الاستئناس أمر وارد فعله الأئمة(٢) ، والقطع بهذه الأسباب غير وارد ، والمعول عليه هو حكمة الله العليّه وإرادته الفاعلة المختارة .

وإذا توجهت عنايتنا لتفحص الأدلة التى ساقها القائلون ببقائه عليه السلام فإن الروايات المتوافرة فى هذه المسأله كمّ كثير حوى درجات متفاوتة فى الرواية ، لذا وجب الانتقاء لهذه الآثار فأوردت أصلح ما جاء فى الباب ثم أردفته بما هو أنزل منه رتبة ويصلح كشواهد أو متابعات تعضد المسألة وتؤكد أن لها أصلا(٣) ولسوف

---

(١) فتح البارى شرح البخارى (٣٧٧/٦) . الاصابه (٤٣٠/١ ـ ٤٣١) .
(٢) راجع البداية والنهاية . ابن كثير (٢٣٠/٢ وما بعدها) والاصابه ابن حجر (٤٣٠/١ ـ ٤٣١) .
(٣) وهذا الأسلوب كالمتفق عليه بين جمهور المحدثين .

اعتمد إيراد الحديث مع ذكر من خرجه وأترجم لرجاله غالبا للوقوف على حالة الاسناد مقدما من بين كتب التراجم كتاب ميزان الاعتدال للحافظ الذهبى ، لقطع الطريق على من يريد النيل من الرجال بجرحهم فإن الذهبى رحمه الله تعالى ذكر فيه رجالا تُكِلمَ فيهم وليسوا بمجروحين لأنهم فوق هذه الطعون[1] . فانتصف لهم رحمه الله .

وهذا أوان الشروع وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

١ ــ أخرج ابن جرير الطبرى فى تاريخه حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى[2] حدثنا محمد بن المتوكل[3] حدثنا

---

(١) وذلك كما نص عليه فى مقدمة كتابه

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى :
عن أبيه وأشهب وشعيب بن الليث وعنه النسائى ومكحول البيروتى وقال أبو حاتم : صدوق ، ت سنة ٢٥٧ محدث اخبارى علامة الكاشف (١٥١/٢ ــ ١٥٢) وقال فى التقريب (٤٨٧/١) : ثقة من الحادية عشرة ، مات سنة ٢٥٧ وهو ابن سعين/ س . .
(٣) محمد بن المتوكل : قال الذهبى فى الميزان : (٢٣/٤) هو محمد بن أبى السرى حافظ رحّال سمع الفضيل بن عياض ومعتمر بن سليمان وعنه الفريابى والحسن بن سفيان وخلق . وثقه ابن معين . وقال فى التذكرة (٤٧٣/٢) : الحافظ الصدوق محدث فلسطين وثقه ابن معين وقال ابن حبان كان من الحفاظ وقال أبو حاتم : لين الحديث .

ضمرة بن ربيعة[١] عن عبد الله بن شوذب[٢] قال :

« الخضر من ولد فارس وإلياس من بنى إسرائيل يلتقيان فى كل عام بالموسم » .

قال ابن حجر فى الفتح[٣] : وهو حسن كذا فى الإصابة (٤٣٨/١) .

٢ ـ وفى زيادات الزهد لعبد الله بن أحمد بن حنبل[٤] قال وحدث

---

(١) ضمرة بن ربيعه الرملى : مشهور ما فيه مغمز ، وثقه أحمد ويحيى بن معين وقال أبو حاتم صالح الحديث . ميزان الاعتدال (٢/٣٣٠) .

الحافظ أبو عبد الله القرشى مولاهم الدمشقى ثم الرملى ، العبد الصالح المأمون قال بن سعد : ثقه مأمون التذكره ٣٥٣/١ فانظر رحمك الله إلى أقوال الأئمة فيه وإلى عمر ابن الجوزى فيه بقوله : الرملى مجروح عند العلماء ؟!

(٢) عبد الله بن شوذب قال الذهبى فى الميزان (٢/٤٤٠) صدوق إمام من طبقة الأوزاعى . روى له أرباب السنن .

وقال فى التقريب (١/٤٢٣) : عبد الله بن شوذب الخراسانى أبو عبد الرحمن ، سكن البصرة ثم الشام ، صدوق ، عابد من السابعة مات سنه ست أو سبع وخمسين (ومائه)/ بخ ١ وقال فى الكاشف (٢/٨٦) : عبد الله بن شوذب البلخى نزل الشام . عن الحسن ومحمد (ابن سيرين) ومكحول . وعنه ابن المبارك وضمرة . وثقه جماعه ، كان إذا رئى ذكرت الملائكة ت١٥٦هـ وقال فى تهذيب التهذيب (٥/٢٢٥) : قال سفيان كان ابن شوذب من ثقات مشايخنا ، وقال ابن معين وابن عمار والنسائى ثقه ، وقال أبو حاتم : لا بأس به ، وذكره ابن حبان فى الثقات . تذكرة الحفاظ ٩٨٧/٣ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى . ابن حجر العسقلانى (٦/٣٣٧) .

(٤) عبد الله بن أحمد بن حنبل : أبو عبد الرحمن ، ولد الإمام ثقه من الثانية عشرة . تقريب التهذيب ٤٠١/١

فى كتاب أبى بخطه حدثنا مهدى بن جعفر(١) حدثنى ضمرة(٢) عن السرى بن يحيى(٣) عن ابن أبى رواد(٤) قال : « **إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام** » والموسم هم موسم الحج إلى بيت الله الحرام . الإصابة (١/٤٣٨) .

٣ ـ واخرج ابن عساكر(٥) أنا أبو القاسم بن الحصين أنا أبو طالب محمد بن أبو إسحاق المزكى ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمه ثنا

---

(١) مهدى بن جعفر : الرملى الراهد لقى ابن المبارك وعبد العزيز بن أبى حازم . قال ابن معين وغيرة : لابأس به . وقال البخارى : حديثه منكر ميزان الإعتدال (١٩٤/٤) وقال فى التقريب (٢٧٩/٢) مهدى ابن جعفر الرملى الزاهد ، صدوق له أوهام ، من العاشرة . ومعلوم أن قول ابن حجر : صدوق له أوهام . أنها درجه من درجات التعديل لا التجريح .

(٢) سبق الترجمه له فى الحديث السابق .

(٣) السرى بن يحيى . أبو الهيثم الشيبانى البصرى . قال أحمد ثقه ثقه . قلت : ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن معين والنسائى وآخرون . ميزان الاعتدال (١١٨/٢) .

(٤) عبد العزيز بن أبى رواد . ميمون . قال ابن المبارك : كان من أعبد الناس . وقال أبو حاتم : صدوق متعبد . وقال أحمد صالح الحديث . وعن أحمد ابن أبى مريم عن يحيى : ثقه يطن بالارجاء قلت : وليست هذا الظن إن ثبت بالذى ترد به روايته مادام لم يكفّر ببدعته ولم يستحل الكذب أو يدعو لبدعته . فلتوازن رحمك الله بن أقوال الأئمة فى ضمرة والسرى ورباح وبين ما نقل من قدح أبو الحسين المنادى فيهم البداية والنهاية (١/٣٣٤) .

(٥) البداية والنهاية ابن كثير (١/٣١٠) قال الدارقطنى فى الأفراد حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير الحسن بن رزين ، وقال العقيلى : لم يتابع عليه وهو مجهول وحديثه غير محفوظ .

وابن عساكر : الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة ثقه الدين أبو القاسم على ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الشافعى صاحب =

محمد بن أحمد بن يزيد أملاه علينا بعبدان أنا عمرو بن عاصم ثنا الحسن بن رزين عن بن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبى ﷺ قال : يلتقى الخضر وإلياس كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ، ما شاء الله لا يصرف الشر إلا الله ، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال ابن عباس : من قالهن حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات آمنه الله من الغرق والحرق والسرق قال واحسبه قال : ومن الشيطان والسلطان والحيه والعقرب .

٤ ـ وفى فوائد أبى إسحاق إبراهيم بن محمد المزنى تخريج الدارقطنى قال : حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة وساق الاسناد السابق بنحوه .

قلت : إن ضُعِّفَ الحديث بالحسن بن رزين فإن ما تقدم فى الباب بنحوه بإسناد حسن مجوّد يشهد له بأصله والقاعدة عند أهل الحديث أن الضعيف يقوى بعضة بعضا فكيف بإنجماع الضعيف إلى الحسن .

= التصانيف والتاريخ الكبير (ثمانين مجلداً) رحل فى طلب العلم حتى وصل عدد شيوخة ألف وثلاثة مائة شيخ ونيف وثمانون أمرأة . كما أخد عنه العلم خلق كثير قال السمعانى : حافظ ثقه متقن ديّن خيّر حسن السمت جمع بين معرفة المتن والإسناد . وقال الحافظ عبد القادر مارأيت أحفظ من ابن عساكر . وقال ابن النجار : أبو القاسم إمام المحدثين فى وقته أنتهت إليه الرياسة فى الحفظ والاتقان والثقه والمعرفة التامه وبه حتم هذا الشأن . تذكره الحفاظ (١٣٣٢/٤) .

فهذا الحديث من باب الشواهد والمتابعات على ما تقدم .

٥ ـ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى الحسن هو ابن رافع[١] عن ضمرة عن السرى عن عبد العزيز بن أبى رواد . مثله الأصابة (١/٤٣٨) .

٦ ـ روى ابن شاهين بسند ضعيف إلى خصيف قال : « **أربعه من الأنبياء أحياء : إثنان فى السماء عيسى وادريس ، وإثنان فى الأرض : الخضر وإلياس ، فأما الخضر فإنه فى البحر ، وأما صاحبه فإنه فى البر** » .

٧ ـ ومما يجمع بين الروايات الأولى ورواية ابن شاهين الأخيرة ما روى عن الحسن البصرى[٢] رضى الله عنه قال: «**وُكّل إلياس بالفيافى ووكل الخضر بالبحور وقد أعطيا الخلد فى الدنيا إلى الصيحة الأولى وإنهما يجتمعان فى موسم كل عام**» الإصابة

---

(١) الحسن بن علىّ بن أبى رافع المدنى ، ثقه من الخامسة روى له أبو داود والنسائى تقريب التهذيب (١/١٦٨) وقد مرّ عليك ترجمه ضمرة والسرى وابن أبى رواد وأنهم أئمة هدى رضى الله عنهم فبان لنا تجويد هده الرواية كما نص عليها الحافظ فى الفتح (٦/٣٣٧) : ورواه أحمد فى الزهد باسناد حسن .

(٢) الحسن البصرى .
الحسن بن أبى حسن البصرى أبو سعيد ، إمام أهل البصرة وخير أهل رمانه ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وسمع خطبة عثمان وشهد يوم الدار ، أبوه مولى زيد بن ثابت وأمه مولاة أم سلمة ، وكان ربما أعطته أم سلمة ثديها فى صغره تعلله به حتى تجىء أمه فيدرّ عليه فيرون أن علمه فصاحته وورعه من بركه دلك . وكان جميلا فصيحا .

وقال ابن سعد فى طبقاته : كان جامعا عالما رفيعا فقيها حجة مأمونا عابداً ناسكاً =

(٤٣١/١) ولعلنا نلحظ الرابطة بين ما رواه ابن شاهين والحسن البصرى وبين ما جاء فى البخارى من أن موسى وفتاة وجدا الخضر عليه السلام « على طنفسه خضراء على كبد البحر » وأن أهل السفينة « عرفوه فقالوا عبد الله الصالح !... لا نحمله بأجر » .

وهذة المرويات الفائتة كالمتعاضدة فيما بينها على موضوع بعينه يحقق بقاء الخضر عليه السلام وطلبا لمزيد من الأدلة الثابته ، إليك طائفه أخرى من المرويات التى تؤكد بحوادثها ورواتها حياة الخضر عليه السلام وأن ذلك متعارف عليه فيما بينهم متناقل خبره من شيخ إلى شيخ لا يعرف لذلك نكير بينهم .

أولا : روى الإمام البخارى فى صحيحه(١)

من حديث الزهرى « **أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبه أن أبا**

= كثير العلم فصيحا جميلا وسيما . لكن ما أرسله ليس بحجة . له مع الحجاج وقعات هائلة وسلمه الله من شرّه وله مع عمر بن عبد العزيز مناصحات قيمه راشده (شذرات الذهب ١٣٦/١) ومن كلماته إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : فأحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة التى تزينت بخدعها وغرت بغرورها وقتلت أهلها بأملها وتشوفت لخطّابها فأصبحت كالعروس المجلوة ، العيون إليها ناظرة ، والنفوس لها عاشقه والقلوب إليها والهه ولألبابها دامغه ، وهى لأزواجها كلهم قاتله . فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر (حليه الأولياء . أبو نعيم ١٣٥/٢) .

وقال الغزالى رحمه الله : كان الحسن البصرى أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابه ، وكان فى عايه من الفصاحة ، تتصبب الحكمه من فِيْهِ .

توفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ ودفن بها رحمه الله رحمة واسعة .

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى . كتاب الفتن باب لا يدخل الدجال المدينه (١٠٩/١٣) .

سعيد قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال : يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ـ فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة ـ فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيار الناس فيقول : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه .

فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر ؟ فيقولون : لا . فيقتله ثم يحييه ، فيقول : والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم . فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلط عليه » .

ثانيا : ما رواه عبد الرازق فى مصنفه(١)

أخبرنا معمر(٢) عن الزهرى(٣) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبه(٤) عن أبى سعيد(٥) فى قصة الدجال وساق الحديث بطوله ، وقال معمر فى آخره وبلغنى أنه يجعل على حلقه صفيحة من نحاس وبلغنى أنه الخضر الذى يقتله الدجال ثم يحييه .

---

(١) المصنف (٣٩٣/١١) وحديث أبى سعيد أحرجه مسلم وعبد بن حميد وأبو يعلى والبزار كما فى الكنز ١٩٦/٧ ـ ١٩٧ والزوائد ٣٣٧/٧ . وإليه إشارة ابن حجر فى الاصابة (٤٤٣/١) .

(٢) معمر بن راشد أبو عروة الأزدى مولاهم عالم اليمن . قال أحمد لا تضم معمراً إلى أحد إلا وجدته يتقدمه ، كان من أطلب أهل زمانه للعلم الكاشف (١٤٥/٣) .

(٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى . الفقيه الحافظ ، متفق على جلالة واتقانه . التقريب (٢٠٧/٢) .

(٤) عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود الهذلى ثقه فقيه ثبت ت ٩٤ هـ . التقريب (٥٣٥/١) .

(٥) أبو سعيد الخدرى الصحابى الجليل .

ثالثا : ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه(١)

من طريق ابن شهاب(٢) قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبه(٣) أن أبا سعيد الخدرى(٤) قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال : **﴿ يأتى وهو محرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينه فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن قال : فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه . قال أبو إسحاق(٥) : يقال إن هذا الرجل هوالخضر عليه السلام ﴾** .

---

(١) صحيح مسلم . النووى (١٨/٧١ـ ٧٢) .

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى وكنية أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالة وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة ، مات سنة خمس وعشرين (بعد المائه) وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين/ع . تقريب التهذيب (٢/٢٠٧) .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود الهذلى . أبو عبد الله المدنى ، ثقة فقيه ، ثبت ، من الثالثة مات سنة أربع وتسعين وقيل سنه ثمان وقيل غير ذلك/ع . تقريب التهذيب (١/٥٣٥) .

(٤) أبو سعيد الخدرى الصحابى الجليل .

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم محمد بن سفيان النيسابورى الفقيه الزاهد المجتهد العابد ، قال الحاكم أبو عبد الله بن البيع سمعت محمد بن يزيد العدل يقول : كان إبراهيم بن =

وإذا كان لنا من تعقيب فإنه يتلخص فى النقاط التاليه :

أولا : فى قول معمر(١) : بلغنى أنه يجعل على حلقه صفيحه من نحاس وبلغنى أنه الخضر ففى قول معمر « بلغنى » دليل على أن ما حدَّث به لم يكن عن فكرة سنحت أو بارقة لمحت لكنة بلاغ يبلغه عمن سبقه ويرويه عمن تقدمه من مشايخه أولى الفضل والنهى ولو كان المقصود غير ذلك لقال : الرأى عندى أو أظن أو ما شابه ذلك . ومما يؤكد صحه بلاغاته وتمام ثبوتها قوله أولا : بلغنى أنه يجعل على حلقه صحيفه من نحاس ونفس هذا البلاغ ورد فى أصل حديث مسلم(٢) ونصه : فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا .

ومن هنا يتأكد لنا أن بلاغ معمر ليس رأيا بل رواية أداها بمعناها وورد نصها فى صحيح مسلم .

ولو تأملت فى البلاغ الثانى وهو : وبلغنى أنه الخضر نجده والبلاغ الأول أخوين خرجا من فم واحد فى مناسبة واحده وبالتالى فليس البلاغ الأول بأولى من الثانى فى القبول فوجب قبولها جميعا .

= محمد بن سفيان مجاب الدعوه ، وقال أبو عمرو ابن نجيد : كان من الصالحين . وقال الحاكم : كان من العباد المجتهدين ومن الملازمين لمسلم بن الحجاج وكان من أصحاب أيوب بن الحسن الزاهد وقال إبراهيم : فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين . توفى فى رجب سنة ثمان وثلثمائه رحمه الله ورضى عنه . اهـ (مقدمه النووى على صحيح مسلم) .

(١) المصنف عبد الرازق (٣٩٣/١١) ونقله الحافظ العسقلانى فى الفتح (٣٣٦/٦ـ٣٣٧) وكذا النووى فى شرح صحيح مسلم (٧٢/١٨) .

(٢) مسلم شرح النووى (٧٣/١٨) .

ولما كان الأمر ليس رأيا بل نقلا فقد ظهر من يعزز نقله وروايته فهذا أبو إسحاق رواى صحيح مسلم ينص قائلا[(١)] : يقال إن هذا الرجل هو الخضر .

ومن هنا يجزم النووى[(٢)] قائلا : وهذا تصريح منه بحياة الخضر عليه السلام وهو الصحيح . وناهيك بالنووى علما وعملا وتقى وديانة رضى الله عنه وعن الجميع .

وما سيأتى بعد من روايه فى كتب السنة يدعم ما سبق التوصل إليه .

ثانياً : ما جاء فى الحديث[(٣)] من قوله « **أشهد أنك الدجال الذى حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه** » وإذا ترجح لنا مما سبق أن صاحب الموقف والكلام هو الخضر عليه السلام فإن الفقرة السابقة من الحديث ترد قول القائلين بأنه لم يحضر مجالس سيدنا رسول الله ﷺ ، وتؤكد أنه حضرها ووعاها جيداً فها هو يقابل الدجال بعد سنين لا يعلم عدّها إلا الله لكنه لا زال حافظا واعيا لما وعته إذناه عن النبى الأواه ﷺ وكيف ينسى وقد أُهّل لهذه المهمة وطُولب بالتصدى لرأس الفتنه ؟ ولا يشترط فى حضوره مجالس رسول الله ﷺ أن يكون معروفا لدى الصحابته فكم من وافد على رسول الله ﷺ لم يعرفه الصحابة لخصوصية فيه ، وحديث عمر بن

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه راوى الكتاب عن مسلم كما مرت ترجمته قريبا .

(٢) مسلم شرح النووى (٧٢/١٨) .

(٣) راجع روايه مسلم السابقه .

الخطاب خير دليل على ذلك « **بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد** »(١) ... الحديث .

ولولا أن رسول الله ﷺ أعلمهم أنه جبريل عليه السلام لما علموا . ولقائل أن يقول يمكن أن يتم التحديث بواسطه وبغير واسطة فلا يشترط أن يتلقى الخضر عليه السلام ذلك مباشرة عن رسول الله ﷺ .

ونحن نسلم أن التحديث يكون بواسطه وبغير واسطه لكن التحديث بواسطة فى حقه كالممتنع فكيف يفوت على نفسه الاجتماع برسول الله ﷺ ليسمع ممن سمع ... وهكذا وهذا بعيد غير مستساغ مع إمكانيته التلقى مباشرة من رسول الله ﷺ ومن هنا نرى وجاهة التخصيص والتنصيص له بالسماع بغير واسطة من رسول الله ﷺ والظاهر أن صاحب دعوة أن التحديث يتم بواسطة وبغير واسطة أراد بمقالته أن يثير ضبابا حول الدليل فميّع الموقف ، وما تفطن أنه صدّق بمقالة على أصل الدليل فكأنه أقرَّ بما منه فرَّ وبيان ذلك أن التحديث إن تم بغير واسطة فقد اثبتنا اجتماعه بالنبى الكريم ﷺ وإدراكه لحياته وإن كانت الأخرى فقد أثبتنا عين المراد وهى بقائة بعد النبى ﷺ حتى يكذّب الدجال وهو أصل الموضوع الذى نحن بصدده .

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحة (١٥٧/١) نووى .

ثالثاً : ما رواه الترمذى[1] وحسنه :

حدثنا عبد الله ﷺ بن معاوية الجمحى[2] حدثنا حمادَ بن سلمه[3]

---

(١) صحيح الترمذى (٥٠٧/٤) كتاب الفتن باب (٥٥) ما جاء فى الدحال . والترمذى هو الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمى الترمذى الضرير مصنف الجامع وكتاب العلل . سمع قتيبه بن سعيد وأبا مصعب وإبراهيم بن عبد الله الهروى وحدث عنه مكحول بن الفضل حماد بن شاكر وعيرهما تفقه فى الحديث بالبحارى ، كان يضرب به المثل فى الحفظ ، وقال عمر بن علك : مات البخارى فلم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والحفظ والورع والزهد بكى حى عمى وبقى ضريراً سنين ا هـ ملخصا تذكره الحفاظ (٦٣٣/٢) .

(٢) عبد الله بن معاوية بى موسى الجمحى : أبو جعفر البصرى ، ثقة ، معّمر ، من العاشرة مات ٢٤٣ هـ تقريب التهذيب ٤٥٢/١ وقال فى الكاشف (١١٨/٢) : عن أبو القاسم الحرانى وحماد بن سلمة وعنه أبو داود والترمذى وابن ماجه القزوينى والبزار وعلى بن عبد الحميد الغضائرى نيف على المائه ٢٤٣ هـ . وقال فى تهذيب التهذيب (٣٥/٦) : وذكره ابن حبان فى الثقات وقال الترمذى هو رجل صالح وقال مسلم بن قاسم : ثقة .

(٣) حماد بن سلمة بن دينار البصرى : الإمام أبو سلمة ، أحد الأعلام ، يقال ولاؤه لقريش . عن سلمة بن كهيل أبى عمران الجونى . وعنه شعبة ومالك وأبو نصر الثمار قال ابن معين : إدا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الإسلام . وقال عمر بن عاصم . كتبت عن حماد بن سلمة بصعه عشر ألفا ، هو ثقة صلوق يغلط ، وليس فى قوة مالك ت ١٦٧ .

عن خالد الحذاء(١) عن عبد الله بن شقيق(٢) عن عبد الله بن سراقة(٣) عن أبى عبيدة بن الجراح(٤) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنه لم يكن نبى بعد نوح إلا قد أنذر الدجال قومه ، وإنى أنذرُكموهُ ، فوصفه لنا رسول الله ﷺ فقال : لعله سيُدرِكُهُ بعض من رآنى أو سمع كلامى ، قالوا يارسول الله فكيف قلوبنا يومئذ ؟ مثلها . يعنى اليوْمَ أو خير » .

قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن غريب من حديث أبى عبيدة ابن الجراح .

---

(١) خالد بن مهران أبو المنازل البصرى . الحذَّاء قال الأثرم عن أحمد : ثبت وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : ثقة وكذا قال النسائى ، وقال أبو : يكتب حديثه ولا يحتج به قلت : والظاهر أن كلام هؤلاء فيه من أجل ما أشار إليه حماد بن زيد من تغير حفظة بآخره أو من أجل دخوله فى عمل السلطان والله أعلم. تهذيب التهذيب (٣/١٠٤ ـ ١٠٥) ، وقال فى الكاشف (١/٢٠٨) ثقه إمام .

(٢) عبد الله بن شقيق العقيلى البصرى : قال ابن معين : ثقة من خيار المسلمين لا يطعن فى حديثه وقال أبو حاتم : ثقة ، وقال ابن خراش : كان ثقة وكان عثمانيا ، وقال ابن عدى : ما بأحادثيه بأس إن شاء الله تعالى . تهذيب (٥/٢٢٣ ـ ٢٢٤) . وقال فى التقريب (١/٤٢٢) بصرى ثقه فيه نصب من الثالثه ت ١٠٨ .

(٣) عبد الله بن سراقه الازدى البصرى : من أهل الشام وله ورواية تصحح وهو من أشراف أهل دمشق له ذكر . قال البخارى : لا يعرف له سماع من أبى عبيدة لكن رواه يعقوب بن شيبة فى مسندة بلفظ . خطبنا أبو عبيدة بالجابية . قال العجلى : بصرى تابعى ثقه وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . تهذيب التهذيب (٥/٢٠٣ ـ ٢٠٤) قال ابن أبى حاتم عبد الله بن سراقة روى من أبى عبيدة بن الجراح (هامش) .

(٤) أبو عبيدة عامر بن الجراح الصحابى الجليل أمين هذه الأمة .

ومحل الشاهد قوله ﷺ : (**لعله سيدركه بعض من رآنى**) .

قال صاحب تحفة الأحوذى[1] : أى على تقدير خروجه سريعا وقيل دل على بقاء الخضر قلت : لم يخرج الدجال حتى الآن وقد انقضت ١٤٠٩ سنه من هجرة النبى الكريم ﷺ وهو الصادق المصدوق فلم يتبق إلا أن نرجح الرأى الثانى القائل ببقاء الخضر عليه السلام .

(أو سمع كلامى) : قال صاحب تحفة الأحوذى[2] : ليس أو للشك من الراوى بل للتنويع لأنه لا يلزم من الرؤية السماع وهو لمنع الخلو لإمكان الجمع .

وقيل المعنى أو سمع حديثى بأن وصل إليه ولو بعد حين .

قلت : نعم لا يلزم من الرؤية السماع لكنه إحتمال بعيد يرده ما جاءت به رواية أبو داود[3] ونصها « **لعله سيدركه من قد رآنى وسمع كلامى** » فجمعت بين السماع والرؤية وهو ما شهدت به روايات مسلم والبخارى وعبد الرازق فى الجمع بين الرؤيه والسماع من قوله للدجال « **أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه** » وقد مر ذكر ذلك ومن هنا يأتى الجزم واليقين فى الجمع بين الرؤية والسماع والبقاء حتى يكذب الدجال بكل هذا اليقين الذى مر عليك نصه فى الصحاح ، وهذا هو الأوفق فى الجمع بين

---

(١) تحفه الأحوذى شرح صحيح الترمذى (٣/٢٣٣) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورد ذكرها عقب تلك الروايه .

الاحاديث وحملها على ظاهر دلالتها وترك التكلف فى صرفها عن ذلك الظاهر . والله أعلم .

رابعاً : ما رواه أبو داود[1] فى سننه .

حدثنا موسى بن إسماعيل[2] ، ثنا حماد[3] ، عن خالد الحذاء[4] عن عبد الله بن شقيق[5] عن عبد الله بن سراقه[6] عن عبيده بن الجراح[7] قال : سمعت النبى ﷺ يقول :

(١) الإمام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمر الأزدى السجستانى صاحب السنن سمع أبا عمر الضرير ومسلم بن ابراهيم والقعنبى وغيرهم وحدث عنه الترمذى والنسائى وابنه أبوبكر وأبو عوانه وغيرهم قال الحاكم : أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة ، وقال موسى بن هارون : خلق أبو داود فى الدنيا للحديث وفى الآخرة للجنة ، ما رأيت أفضل منه . مات سنة ٢٧٠ بالبصرة . ا هـ ملخصا تذكرة الحفاظ ٢/٥٩١ـ٥٩٣ .

(٢) موسى بن إسماعيل المِنْقَرِىُ ، أبو سلمة التبوذكى ثقه ثبت ، من صغار التاسعه ولا التفات إلى قول ابن خراش فيه : تكلم الناس فيه/ عم التقريب (٢/٢٨٠) وقال فى الكشف (٣/١٥٩) الحافظ عن شعبه وهمام وخلق وعنه أحمد وأبو داود وابن الضريس وابن ابى عاصم سبطه قال عباس الدورى كتبنا عنه خمسه وثلاثين ألف حديث . قلت : ثقة ثبت مات سنة ٢٢٣ .

(٣) تقدمت ترجمتة فى حديث الترمذى .

(٤) تقدمت ترجمتة فى حديث الترمذى .

(٥) تقدمت ترجمتة فى حديث الترمذى .

(٦) تقدمت ترجمتة فى حديث الترمذى .

(٧) أمين الأمه الصحابى الجليل رضى الله عنه وأرضاه وعنا به .

« إنه لم يكن نبى بعد نوح إلا وقد أنذر الدجال قومه ، وإنى انذركموه ، فوصفه لنا رسول الله ﷺ وقال : « لعله سيدركه من قد رآنى وسمع كلامى » قالوا : يارسول الله كيف قلوبنا يومئذ ؟ أمِثْلها اليوم ؟ قال : أو خير » ومحل الشاهد فى قوله ﷺ : « لعله سيدركه من قد رآنى وسمع كلامى » .

وهذه الرواية تجمع لصاحبها ما بين الرؤية والسماع للنبى ﷺ وإدراك الدجال وقد سبق أن توصلنا إلى ترجيح ذلك فلو اكتفينا بحمل الحديث على السماع بغير واسطه فقد رددنا الرؤية ولا دليل على الرد ولا يتكلم النبى ﷺ إلا بالحكمة ، وفصل الخطاب ناهيك عما تعطيه كلمه (قد) فى الحديث من تحقيق الرؤية والسماع وكفى بها دليلا ولا ينبغى بعد ذلك إلا التسليم لقول من قال(١) : وحمله بعضهم على خضر عليه السلام . ولا يعكر على كونه الخضر عليه السلام ما جاء فى رواية مسلم « ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا » فإن ابن العربى رأى أنهما رجلان حيث قال(٢) : هذا اختلاف عظيم يعنى فى قتله بالسيف والمشار قال : فيجمع بأنهما رجلان يقتل واحد منهما قتله غير قتله الآخر .

قلت : يشهد له ما فى روايه مسلم « **إن لا يفعل بعدى بأحد من الناس** » فكأنما سبق هذا الموقف أفاعيل من الدجال فى الناس

---

(١) عون المعبود شرح فى سنن أبو داود . محمد شمس الدين الحق العظيم آبادى (١٣/١٠١)

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى .

فتحدثت الروايات عن الشاب المقطع بالسيف وعن الخضر المشقوق بالمنشار .

وعلى فرض أنهما واحدا وأن الأصل عدم التعدد فلا عجب لأن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل شابا كما رفع بالرغم من تطاول الزمان به وذلك من طلاقه القدرة ، واعتبار مظهر الشباب أو الشيخوخة لصاحب الآف المؤلفه من السنين اعتبار لا محل له مع قدرة الله الحكيم .

وإن هذه المرويات الفائتة تجتمع على ترجيح حضور الخضر مجالس سيدنا رسول الله ﷺ واستماعه إليه وتحمله لحديثه بل وأدائه إلى أهله فهو من هذه الحيثية صحابى بكل معنى للصحبة .

كما أشار إليه الحافظ الحجة ابن حجر العسقلانى فى الاصابة والعلامة الصاوى (حاشية الجلالين)

وكأن سماع الخضر عليه السلام لخبر الدجال من الصادق المصدوق ﷺ بمثابه علم يقين له حتى إذا ماأدرك الدجال وشاهد أماراته نطق فيه بعين اليقين قائلا « أشهد أنك الدجال الذى حدثنا عنه رسول الله ﷺ حديثه »(١) فإذا قتله ثم أحياه نطق فيه بلسان حق اليقين قائلا « والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن »(٢) .

---

(١) كما مر عليك من روايه البخارى ومسلم .

(٢) المصدر السابق .

ولعل من عجائب القدر أن يُبتلى الخلق بالدجال المستطير شره ، ويُنْظر الخضر عليه السلام ليكون هو الذى يتصدى له ويكشف حقيقة أمره كما أُنظر عيسى عليه السلام ليكون قاتل الدجال ليخلص الناس من شره .

فسبحان من قدر البلاء والدواء ، وسبحان من شاكل بين عيسى والخضر فى البقاء ، وكل ميسر لما خلق له ، وإنا كل شىء خلقناه بقدر .

ولا ينقصنا فى التعقيب على الأحاديث المتقدمة فى الباب إلا الإشارة إلى الشهادات النبويه التى قالها المصطفى ﷺ فى ذلك المتصدى للدجال والذى ترجح لدينا أنه الخضر عليه السلام .

أولا : قول النبى ﷺ « **فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس** »(١)

ثانيا : فى آخر حديث مسلم(٢) « **قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته وترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما أُلقى فى الجنه فقال رسول الله ﷺ هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين** » .

وكأن الخضر عليه السلام يمارس ما طُبع عليه من حب للجهاد وطلب للإصلاح ـ كما تحدثنا فى صدر الكتاب عن ذلك فى علاقته

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى (١٨/٧١) .

(٢) صحيح مسلم شرح النووى (١٨/٧٣) .

بذى القرنين عليه السلام ـ فإذا به يجهر بكلمه الحق فى وجه جبار غاشم وطاغوت عاتٍ ، ومن يكون لهذا الرزء إلا الخضر يكشفه على حقيقته للناس فيقول « **يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ** »[1] ويفعل به الدجال ما يفعل فيقول له « **ما ازددت فيك إلا بصيرة** »[2] .

وإن رجلا هو خير الناس لجدير بأن يكون أعظم الناس شهادة عند رب العالمين رضى الله عنه وأرضاه وعنابه آمين .

(١) صحيح مسلم شرح النووى (٧٣/١٨) .

(٢) صحيح مسلم شرح النووى (٧٣/١٨) .

الفصل السابع

فيما جاء فى بقاء الخضر عليه السلام بعد النبى ﷺ ومن نقل أنه رآه وكلمه

أ ـ مرويات عصر الصحابة :

احاديث التعزية :

١ ـ روى بن أبى حاتم فى تفسيره[١] حدثنا أبى أخبرنا عبد العزيز الأويسى[٢] حدثنا على بن أبى على الهاشمى[٣]عن جعفر بن محمد[٤]

---

(١) الاصابه (٤٣٩/١) .

(٢) عبد العزيز الأويسى (خ د ت ق) الأويسى المدنى البخارى . ثقه جليل . روى عن مالك وابن الماجشون ونافع عن عمر الجمحى وعنه أبو حاتم وخلق . الميزان (٦٣٠/٢) .

(٣) على ابن أبى على القرشى شيخ لبقيه قال ابن عدى مجهول منكر الحديث لسان الميزان ٢٤٥/٤ .

(٤) جعفر الصادق رضى الله عنه : (٨٠هـ ـ ١٤٨هـ) الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق بن على بن الشهيد أبى عبد الله الحسين بن على رضى الله عنه ريحانه النبى ﷺ وسبطه ومحبوبه رضى الله عنه ، الإمام الصادق شيخ بنى هاشم أبو عبد الله القرشى الهاشمى العلوى النبوى المدنى أحد الاعلام .

بن على بن الحسين عن أبيه(١)

= أمه هى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر ، رأى بعض الصحابة كأنس وسهل بن سعد حدّث عن أبيه وعروة بن الزبير وعطاء بن أبى رباح والزهرى ومحمد بن المكدر ومسلم بن ابى مريم وحدَّث عنه ابنه موسى الكاظم ويحيى بن سعيد وأبو حنيفة وأبان وابن جريج وسفيان وشعبة ومالك وخلق كثير .

وعن يحيى بن سعد : وفى نفسى منه شىء مجالد أحب إلىَّ منه . قال الذهبى : هده زلفات يحيى القطان بل أجمع أئمة هذا الشأن على أن جعفراً أوثق من مجالد ولم يلتفتوا إلى قول يحيى . وقال الذهبى فى جعفر ثقه صدوق أحد الأئمة الأعلام ، بَرّ صادق كبير الشأن ، لم يحتج به البخارى . وقال أبو حاتم : ثقه لا يسأل عن مثله . وعن عمر بن أبى المقدام : كنت إذا نظرت إلى حعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين .

وعن حسن بن زياد سمعت أبا حنيفه وسئل من أفقه من رأيت ! قال : مارأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور إلى الحيرة ، بعث إلىَّ فقال : يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهىء له من مسائلك الصعاب . فهيأت له أربعين مسألة ثم أتيت أبا حعفر وجعفر جالس عن يمينه ، فلما بصرت بهما دخلنى لجعفر من الهيبة مالم يدخلنى لابى جعفر فسلمت وأذن لى فجلست ثم التفت إلى جعفر فقال : ياأبا عبد الله .. تعرف هذا ؟ قال : نعم هذا أبو حنيفة ، ثم أتبعها قد أتانا ، ثم قال ياأبا حنيفة هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله فابتدأت أسأله فكان يقول فى المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ونحن نقول كذا وكذا ، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة وربما خالفنا جميعا حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم منها مسألة . ثم قال أبو حنيفة : أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ! انتهى ملحصا من حلية الأولياء (١٩٢/٣) وميزان الاعتدال (٤١٤/١) وسير أعلام النبلاء (٢٥٠/٦ : ٢٠٠) .

(١) الإمام محمد بن على بن الحسين بن الخليفة الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين (٥٦ هـ ــ ١١٧ هـ) ، الثبت الهاشمى العلوى المدنى ، أحد الأعلام روى =

أن علي بن أبي طالب(١) قال: « لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل

= عن أبيه وجابر بن عبد الله وأبي سعيد وابن عمر وعبد الله بن جعفر وعدة، وحدّث عنه ابنه جعفر بن محمد وعمرو بن دينار والأعمش والأوزاعي كان سيد بني هاشم في زمانه، اشتهر بالباقر من قولهم بقر العلم يعني شقه لهم فعلم أصله وخفيّه، كان ثقة فاضلا، عدّه النسائي وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة قيل كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة. ومن ضراعته بالاسحار قوله: أمرتني فلم أأتمر ونهيتني فلم أنزجر فها أنا عبدك بين يديك مقر لاأعتذر.

وروى أبو بصير قلت يوما للبقر: أنتم ورثة رسول الله ﷺ قال: نعم قلت ورسول الله ﷺ وارث الأنبياء جميعهم قال: نعم قلت فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس مما يأكلون وما يدخرون قال نعم نفعل بإذن الله تعالى ثم قال ادن مني يا أبا بصير (وكان مكفوف البصر) قال فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السماء والجبل والأرض. ثم قال: أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله أو تكون كما كنت ولك الجنة قلت الجنة فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت. وجاء في درر الأصداف عن إبنه جعفر الصادق قال: فقلت يا أبت والله ما رأيت منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ولا أرى عليك أثر الموت فقلت يا أبت والله ما رأيت منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ولاأرى عليك أثر الموت فقال: يا بني أما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار: يا محمد عَجِّلْ. انتهى ملخصا من تقريب التهذيب (١٩٢/٢) ــ تذكرة الحفاظ (١٢٤/١ــ١٢٥) نور الابصار في مناقب آل النبي المختار ﷺ ١٥٧ وما بعدها..

(١) الخليفة الرابع وأبو الحسنين وباب مدينة علم رسول الله ﷺ الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعنا به آمين، نكتفي بذكر اسمه لعناه عن التعريف ولنحظى بمزيد التشريف.

هالك ودركا من كل ما فات . فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب . قال جعفر أخبرنى أبى أن على بن أبى طالب قال : تدرون من هذا ؟ هذا الخضر » .

٢ ـ قال ابن الجوزى : ورواه محمد بن أبى عمر[١] عن محمد بن جعفر[٢] بإسناده السابق بنحوه قال ابن الجوزى : وابن أبى عمر مجهول لكن العلامة ابن حجر ردَّ ذلك قائلا : وهذا الإطلاق ضعيف ، ابن أبى عمر أشهر من يقال فيه هذا ، هو شيخ مسلم وغيره من الأئمة وهو حافظ صاحب مسند مشهور مروى .

---

(١) محمد بن أبى عمر نكتفى بشهادة ابن حجر فيه كما هو مدون فوق الهامش . والراوية أوردها ابن حجر فى الاصابه (١/٤٣٩) .

(٢) محمد بن جعفر بن محمد الهاشمى الحسنى سيد بنى هاشم فى زمانة ، يلقب بالديباج لحسنه وجماله وكان سيداً مهيبا عاقلا فارساً شجاعاً يصلح للإمامه وكان يصوم يوما ويفطر يوما . دعا إلى نفسه فى أول دولة المأمون وبويع بمكه سنة مئتين فحج حينئذ المعتصم وهو أمير وظفر به واعتقله ببغداد مات سنة ثلاث ومئتين وقد نيّف على السبعين وقبره بجرجان ، وقال البخارى : أخوه اسحاق أوثق منه . قلت : والمستفاد من قول البخارى أنه ثقه وأن أخوه أوثق منه فهى شهادة للأخويين الشريفين . وما رواه الخطيب عن عدوله عن أحاديث حدث الناس بها يحمل على قهر المعتصم له فى سجنه فاستخدم المعاريض قائلا : كنت حدثتكم بأحاديث زوّرتها ، وزوّر الشيء بمعنى حسّنه وقوّمه . يشهد لذلك كمال ديانته التى وردت فى صدر الترجمة ولا يجتمع التوثيق مع الكذب أبدا ، ودليل ذلك ماقالة الذهبى فى الميزان : فمن الباطل الذى الصق بمحمد هذا عن أبيه وذكر قصة منكرة . فانتصف له رحمهم الله أجمعين راجع سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٤) ـ ميزان الاعتدال (٣/٥٠٠) .

٤ ـ روى أمير المؤمنين بن حجر العسقلانى(١) قال : أخبرنى شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين(٢) رحمه الله أخبرنى أبو محمد بن القيم أخبرنا الحسن بن البخارى عن محمد بن معمر أخبرنا سعيد بن أبى الرجاء أخبرنا أحمد بن محمد بن النعمان أخبرنا أبو بكر بن المقرى أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعى حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر العدنى حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال كان أبى هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده(٣) عن على بن أبى طالب أنه دخل عليهم نفر من قريش فقال ألا أحدثكم عن أبى القاسم ؟

---

(١) الإصابة (٤٤٠/١) وابن حجر هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ فى زمانة وحافظ الديار المصريّة بل حافظ الدنيا مطلقا قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على .. الكنانى العسقلانى ثم المصرى الشافعى . ولد سنه ٧٧٣ هـ . رحل ولازم شيخه الحافظ أبو الفضل العراق وبرع فى الحديث فصنف ما يربو على المائة مصنف . توفى فى ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ رحمه الله رحمة واسعه . ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(٢) هو الحافظ الإمام الكبير الشهير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بن ابراهيم العراقى حافظ العصر ولد سنة ٧٢٥ قدم أبوه مصر صغيراً فنشأ فى خدمة الصالحين ومن جملتهم تقى الدين القنائى ويقال أنه بشّرة بالشيخ وقال سمه عبد الرحيم يعنى باسم جده الاعلى الشيخ عبد الرحيم القنائى من كبار أولياء مصر فكان كذلك . برع الحافظ العراقى فى جملة فنون ومن أبرزها علم الحديث كان حسن السمت منوّر الشيبة جميل الصورة كثير الوقار متواضعا لا يترك قيام الليل مات سنة ٨٠٦ هـ رحمه الله رحمة واسعة .

(٣) هو الإمام على زين العابدين (٣٨ هـ ـ ٩٤ هـ) السيد الإمام زين العابدين الهاشمى العلوى المدنى يكنى أبا الحسين ، أمه أم ولد وهى سلّافةُ بنت ملك الفرس يزدجرد ، « كان ثقة مأمونا ، كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا » وقال الزهرى : =

....

= ما رأيت قرشيا أفضل من على بن الحسين ، وقال العجلى : على بن الحسين مدنى تابعى ثقه . وعن أبى نوح الانصارى قال : وقع حريق فى بيت فيه على بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون : يا بن رسول الله ... النار النار . فما رفع رأسه حتى طُفِئَتْ . فقيل له فى فى دلك فقال : ألهتنى عنها النار الأخرى » .

وكان يلقب بعلى السّجاد لكثرة سجوده ، فعن أبى جعفر كان أبى يصلى فى اليوم والليله ألف ركعة فلما احتضر بكى فقلت : ما يبكيك يا أبت ؟ قال : يا بُنَى إنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا كان لله فيه المتيئة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

وعن طاوس قال : سمعت علياً بن الحسين وهو ساجد فى الحجر يقول : عُبيدك بفنائك مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك . فوالله ما دعوت بها فى كرب قط إلا كتشف عنى .

وكان فى الجود كا المزن فعن شيبة بن نعامه : لما مات علىّ وجدوه يعول مئة أهل بيت وكانت له جلالة وهيبة من أثر السجود وقد اشتهرت حادثته مع هشام بن عبد الملك الذى حجّ قبيل ولايته الخلافة فكان إذا أراد استلام الحجر زوحم عليه ، وإذا دنا علىّ ابن الحسين من الحجر تفرقوا عنه إجلالاً له ليتمكن من استلام الحجر فوجم هشام وأراد أن يدعى الجهل به فقال : من هذا ؟ فما أعرفه فلم يطق الفرزدق كتمان حبه فأنشأ يقول :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفُهُ والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأتـه قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى إلى دروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم =

قالوا : بلى فذكر الحديث بطوله فى وفاة النبى ﷺ وفى آخره ، « **فقال جبرائيل يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئى الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا ، فلما قبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ، إن فى الله عزاء عن كل مصيبه وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب وإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ، فقال على : هل تدرون من هذا ؟ هذا الخضر** » .

٥ ـ وأخرج البيهقى فى الدلائل (١) قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو جعفر البغدادى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الصنعانى

= هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلة بجده أنبيـــاء الله قد ختمـــوا
إلى أن قال :
من يعرف الله يعرف أولية دا فالدين من بيت هدا ناله الأمم
رضى الله عن الفرزدق وشكر له دفاعه عن أبناء رسول الله ﷺ .

ومن حكم على بن الحسين : من ضحك ضحكةً مج مجةً من علم . وكان يقول : اللهم إنى أعوذ بك أن تُحسِّن فى لوائح العيون علانيتى وتُقَبِّحَ فى حفيات العيون سريرتى ، اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إلىّ فإذا عدتُ فعد علىّ . راجع طبقات ابن سعد (٥/٢١١ـ٢٢٢) ابن عساكر (١٢/١٨ـ٢٨أ) الحلية (٣/١٣٤ـ١٣٦) المعرفة والتاريخ (١/٥٤٤) نور الأبصار (١٥٣ـ١٥٧) .

(١) الاصابه (١/٤٤٠) والبيهقى : هو الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن على ابن موسى الخسروجردى والبيهقى صاحب التصانيف ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مائة وهو الفقيه الحافظ الأصولى الديّن الورع ، واحد زمانه فى الحفظ وفرد أقرانه فى الاتقان والضبط ، من كبار اصحاب الحاكم ويزيد عليه بأنواع من العلوم ، كتب الحديث وحفظه من صباه وتفقه وبرع وأخذ فى الأصول =

حدثنا أبو الوليد المخزومى حدثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبية عن جابر بن عبد الله(١) : بنحوه .

٦ ـ ورواه البيهقى أيضا(٢) من طريق أبو سعيد أحمد بن عمرو الأحمس بنحوه .

فهذه الروايات وغيرها كالمتعاضدة فيما بينها على اثبات أصل الحادثة فهى إلى القبول أولى منها إلى الردِّ والله أعلم .

مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

قال البيهقى فى دلائل النبوة(٣) أخبرنا أبو زكريا بن إسحاق(٤) حدثنا أحمد بن سليمان الفقيه(٥) حدثنا الحسن ابن مكرم حدثنا عبد

وارتحل ثم صنف وتواليفه تقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد ، جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث ووجه الجمع بين الاحاديث . وكان على سيرة والعلماء قانعا بالسير توفى فى جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربع مائة رحمة الله رحمة واسعة .

(١) جابر بن عبد الله : الصحابى الجليل رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين .

(٢) الاصابه (١/٤٤٠) .

(٣) الاصابه (١/٤٤٢) .

(٤) أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحاق بن عمرو البخارى الحافظ الرحال ، سمع بالمشرق والمغرب ، الحافظ الثقة وقال : ابن عساكر : كان ثقه . اهـ لسان الميزان (٤/٢ـ٣) بأختصار .

(٥) أحمد بن سليمان الفقيه : بن الحسين بن إسرائيل أبو بكر النجاد الفقيه الحنبلى المشهور رحل وصنف فى السنن . كان رأسا فى الفقه رأسا فى الروايه ، ارتحل إلى أبى داود السجستانى واكثر عنه ، صدوق . الميزان (١/١٠١) .

الله بن بكر هو السهمى(1) حدثنا الحجاج بن فرافصة(2) أن رجلين كانا يتبايعان عند عبد الله بن عمر(3) فكان أحدهما يكثر الحلف .... فبينما هو كذلك إذ سمعها رجل فقام عليها فقال للذى يكثر الحلف ياعبد الله اتق الله ولا تكثر الحلف فإنه لايزيد فى رزقك إن حلفت ولا ينقص من رزقك إن لم تحلف قال : إمض لما يعنيك ، قال : إن هذا مما يعنينى ـ قالها ثلاث مرات ورد عليه قوله ـ فلما أراد أن ينصرف عنهما قال : أعلم أن من الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، ولا يكن فى قولك فضل على فعلك ، ثم انصرف . فقال عبد الله بن عمر إلحقه فاستكتبه هؤلاء الكلمات فقال : ياعبد الله أكتبنى هذه الكلمات يرحمك الله ، فقال الرجل : ما يقدر الله يكن وأعادهن عليه حتى حفظهن ثم مشى حتى وضع إحدى رجليه فى المسجد فما أدرى أرض تحته أم سماء ، قال كأنهم كانوا يرون أنه الخضر أو إلياس .

قال ابن حجر رحمه الله(4) : وهذا طريق جيد عن ابن عمر .

ومع على رضى الله عنه : قال ابن أبى الدنيا(5) حدثنا يعقوب بن

---

(1) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى الباهلى ، أبو وهب البصرى نزيل بغداد ، امتنع من القضاء ثقه حافظ من التاسعه ، مات فى المحرم سه ثمان ومائتين ./ع التقريب (1/404) .

(2) الحجاج بن فرافصة : الباهلى البصرى ، صدوق عابد يهم ، من السادسه/ د. س. التقريب (1/154) .

(3) عبد الله بن عمر بن الخطاب : الصحابى الجليل رضى الله عنهم أجمعين .

(4) الاصابه (1/442) .

(5) الاصابه (1/442) قال فى تنزيه الشريعة المرفوعة (1/235) ابن عساكر رواه =

يوسف حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا صالح بن أبى الأسود عن محفوظ بن عبد الله[1] عن شيخ من حضرموت عن محمد بن يحيى قال على بن أبى طالب بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا برجل معلق بالأستار وهو يقول : يا من لا يشغله شىء عن سمع يا من لا يغلطه السائلون يا من لا يتبرم بإلحاح الملحين ... أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك ، قال : قلت دعاؤك هذا عافاك الله أعده ، قال : وقد سمعته ؟ قلت نعم ، قال : فادع به دبر كل صلاة فوالذى نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحصى الأرض لغفر الله لك أسرع من طرفة عين .

وروى سيف فى الفتوح[2] أن جماعة كانوا مع سعد بن أبى وقاص فرأوا أبا محجن وهو يقاتل فذكر قصه أبى محجن بطولها وأنهم قالوا وهم لا يعرفونه : ما هو إلا الخضر .

قال ابن حجر[3] معلقاً على مامر من روايات : وهذا يقتضى أنهم كانوا جازمين بوجود الخضر فى ذلك الوقت .

= من طريق آخر (قلت) هو من طريق الدينورى صاحب المجالسة وقد مرَّ أن الدارقطنى كان يتهمه بالوضع إلا أن ابن أبى الدنيا تابعة فزالت تهمته لكن فى السند مجاهيل والله أعلم .

وابن أبى الدنيا هو : المحدث العالم الصدوق أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبى الدنيا القرشى الأموى مولاهم البغدادى صاحب التصانيف ولد سنة ثمان ومائتين وتوفى سنة احدى وثمانين ومائتين . قال ابن أبى حاتم : كتبت عنه مع أبى وهو صدوق . قال الخطيب : أدب غير واحد من أولاد الخلفاء . تذكره الحفاظ (٢/٦٧٧ ـ ٦٧٩) .

(١) جهل شيخه الذى روى عنه فأوهن الحديث .

(٢) الاصابة (١/٤٤٢) .

(٣) الاصابة (١/٤٤٢) .

ب ـ مرويات مابعد عصر الصحابه من خيار التابعين والعلماء العاملين

● **مع الخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :**

١ ـ قال يعقوب بن سفيان فى تاريخة(١) حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملى حدثنا ضمرة هو ابن ربيعة عن السرى بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال :

« رأيت رجلا يماشى عمر بن عبد العزيز معمتدا على يده فقلت فى نفسى إن هذا الرجل جاف ، فلما صلى قلت : يا أبا حفص من الرجل الذى كان معك معتمداً على يدك آنفا ؟

قال : وقد رأيته يا رباح ؟ قلت : نعم ، قال : إنى لأراك رجلا صالحا ذاك أخى الخضر بشرنى أنى سألى فأعدل » .

قال الحافظ ابن حجر(٢) هذا أصلح إسناد وقفت عليه فى هذا الباب .

---

(١) الاصابه (٤٤٦/١) وتقدمت ترجمة رجال الاسناد ، ورباح إن كان قد تكلم فيه ابن المبارك فقد وثقه ابن معين وأبوزرعة والنسائى وابن حبان . تنزيه الشريعة (٢٣٦/١) .

(٢) قاله : ابن حجر رحمه الله فى الاصابه (٤٤٦/١) .

٢ ــ وقد أخرجة أبو عروبة الحرانى فى تاريخة(١) عن أيوب بن محمد الوراق عن ضمرة أيضا .

٣ ــ وأخرجه أبو نعيم فى الحلية(٢) عن ابن المقرى عن أبى عروبة فى ترجمه عمر بن عبد العزيز ويبدوا أن الأمر لم يتوقف عند حد البشارة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وانتهى الأمر بل تواصلت الزيارات والمناصحات لله عز وجل .

ففى الجزء الأول من فوائد الحافظ أبى عبد الله محمد بن مسلم بن زرارة الرازى(٣) حدثنى الليثى بن خالد أبو عمرو وكان ثقة حدثنا المسيب أبو يحيى وكان من أصحاب مقاتل بن حبان عن مقاتل بن حبان قال « **وفدت على عمر بن عبد العزيز فإذا أنا برجل أو شيخ يحدثه أو قال متكىء عليه قال ثم لم أره ، فقلت : ياأمير المؤمنين** رأيت رجلا **يحدثك قال** : ورأيته ؟ **قلت نعم ، قال : ذاك أخى الخضر يأتينى فيوفقنى ويسددنى** » .

● وفى صحبة ابن المبارك فى الجهاد فى سبيل الله تعالى :

روى ابن بشكوال(٤) فى كتاب المستغيثين بالله تعالى عن عبد الله

---

(١) الاصابه (٤٤٦/١) .

(٢) الاصابه (٤٤٦/١) .

(٣) الاصابه ٤٤٧/١) .

(٤) ذكره الألوسى فى روح المعانى (٣٢٤/١٥) وابن بشكوال هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة الأنصارى الأندلسى الحافظ الإمام المتقن ، محدث الأندلس ومؤرخها كان متسع الروايه شديد العناية بها عارفا بوجوهها حجةً مقدما على أهل وقته ، حافظاً اخباريا تاريخيا سمع =

بن المبارك(1) قال :

« كنت فى غزوة فوقع فرسى ميتا فرأيت رجلاً حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : أتحب أن تركب فرسك ؟ قلت : نعم ، فوضع يده على جبهه الفرس حتى انتهى إلى مؤخره وقال : أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله ، وبعظمة عظمة الله ، وبجلال جلال الله ، وبقدرة قدرة الله ، وبسلطان سلطان الله ، وبلا إله إلا الله ، وبما جرى به القلم من عند الله ، وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت ، فوثبا الفرس قائما بإذن الله تعالى ، وأخذ الرجل بركابى وقال : اركب فركبت ولحقت بأصحابى ، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا فقلت : ألست صاحبى بالأمس ؟ قال : بلى فقلت : سألتك بالله تعالى من أنت ؟

= العالى والنازل واسند عن شيوخة أزيد من أربع مائة كتاب وألّف خمسين مؤلفا ، كان صالحا متواضعا . تذكره الحافظ (١٣٣٩/٤) .

(١) عبد الله بن المبارك المروزى : مولى بنى حنظله ، ثقة فقيه عالم جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير ، من الثامنه ، مات سنة احدى وثمانين ومائه وله ثلاث وستون/ع التقريب (٤٤٥/١) وكان رضى الله عنه يضرب بجوده الأمثال فكان إذا إشتهى شيئا لا يأكله إلا مع ضيف ويقول بلغنا أن طعام الضيف لا حساب عليه . ولما قدم هارون الرشيد الرقة ورد عبد الله بن المبارك فاحتفل الناس إليه وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج قصر الخشب فلما رأت الناس وكثرتهم قالت : ما هذا قالوا : عالم خراسان فقالت : والله هذا هو الملك لا ملك هارون الرشيد الذى يجمع الناس إليه بالسوط والعصى والشرط والأعوان . وقيل له كيف تعلم الملائكة أن الإنسان قدهمّ بحسنة فقال : يجدون ريحها ورجع رضى الله عنه من مرو إلى الشام فى رد قلم استعاره ونسيّه فى حلة . الطبقات الكبرى الشعرانى (٥١/١)

فوثب قائما فاهتزت الأرض تحته خضراء فقال : أنا الخضر » .

فهذه الرواية صريحة فى اثبات حضورة معارك الجهاد دون علم من أحد أنه الخضر إلا أن يسأل بالله تعالى عن شخصه كما جائت بذلك رواية الطبرانى فى ما كان بين الخضر والرجل المكاتب من بنى اسرائيل ، والرواية كالشاهد على رواية البخارى وأحمد وغيرهما فى اهتزاز الأرض تحته بالخضرة والنماء ، والروايه من قبل ومن بعد تحقيق إلفه للجهاد على مدى عمره المبارك وتظهر كرامه ربه له فى تلك الدعوة المباركة التى أقسم بها على ربه فأجابه « **ورب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبرّه** » . رواه البخارى فى صحيحه .

● ومع إبراهيم بن أدهم :

وروينا فى أخبار إبراهيم بن أدهم[1] قال إبراهيم بن بشار[2] خادم إبراهيم بن أدهم : صحبته بالشام فقلت يا أبا إسحاق أخبرنى عن بدء

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر (١٠٠ هـ ـ ١٦٢ هـ) ، القدوة الإمام العارف ، سيد الزهاد أبو إسحاق العجلى ، وقيل التميمى الخراسانى البلخى نزيل الشام ، حدّث عن أبية ومحمد بن زياد الجمحى (صاحب أبى هريرة) ومنصور بن المعتمر ، وأبى جعفر محمد بن على والأعمش وابن عجلان وحدّث عنه : رفيقه سفيان الثورى وشقيق البلخى وضمرة بن ربيعة والفريابى والأوزاعى والفزارى قال النسائى : هو ثقة مأمون ، أحد الزهاد . وقال الدراقطنى : ثقه . ونقل اليافعى عن فضله وكراماته واجتهاده حتى أبلغة رتبة الاجتهاد .

وعن الفضل بن موسى قال : حج والد إبراهيم بن أدهم وزوجته فولدت له إبراهيم بمكة . وقال إبراهيم ابن أدهم رآنى ابن عجلان فاستقبل القبلة ساجداً وقال : سجدت لله شكراً حين رأيتك . =

أمرك ؟ قال : كنت شابا قد حبب إلى الصيد فخرجت يوما فأثرت أرنبا أو ثعلبا فبينا أنا أطرده إذ هتف بى هاتف لاأراة : ياإبراهيم ألهذا خلقت أبهذا أمرت ؟ ففزعت ووقفت ثم تعوذت وركضت الدابة ، ففعل ذلك مراراً ثم هتف بى هاتف من قربوس السرج والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت . قال : فنزلت فصادفت راعيا لأبى يرعى الغنم فأخذت منه جبة الصوف فلبستها ودفعت إليه الفرس وما كان معى وتوجهت إلى مكه فبينا أنا فى البادية إذا أنا برجل يسير ليس معه

وعن بقية بن الوليد : كنا مع إبراهيم بن أدهم فى البحر فهاجت الريح واضطربت السفينة وبكوافقلنا : ياأبا إسحاق ماترى ؟ فقال : يا حى حين لا حى ، ويا حى قبل كل حيٍّ وياحى بعد كل حى ، ياحى ياقيوم يامحسن يامجمل .. قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك . فهدأت السفينة من ساعته . وقال رضى الله عنه الزهد فرض وهو الزهد فى الحرام . وزهد سلامة وهو الزهد فى الشبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال . ومن حكمه الساميه : كل ملك لا يكون عادلا فهو واللصُّ سواء ، وكل عالم لا يكون تقيا فهو والذئب سواء وكل من ذَلَّ لغير الله فهو والكلب سواء . ومن شعره :

تركت الخلق طراً فى رضاكا وأيتمت العيال لكى أراكا
فلو قطعتنى فى الحب أربا لما حنَّ الفؤاد إلى سواكا

وعن سفيان بن عيينه قال : قيل لابراهيم ابن أدهم لو تزوجت ؟ قال لو أمكننى أن أطلق نفسى لفعلت .

وقال عيسى بن حازم النيسابورى : كنا بمكة مع إبراهيم بن أدهم فنظر إلى أبى قبيس (جبل بمكة) فقال : لو أن مؤمناً مستكمل الإيمان يهز الجبل لتحرك . فتحرك أبو قبيس فقال : اسكن ليس إياك أردت : سير أعلام النبلاء (٣٨٧/٧ وما بعدها) الحليه (٨/٤٠٠) تاريخ دمشق (١٨٦/٢) ـ البداية والنهاية (١٤٠/١٠) .

(٢) إبراهيم بن بشار الخراسانى صاحب إبراهيم ابن أدهم ، وثقه ابن حبان ، من العاشرة أيضا التقريب (٣٣/١) .

اناء ولا زاد فلما أمسى وصلى المغرب حرك شفيته بكلام لم أفهمه فإذا أنا بإناء فيه شراب فأكلت معه وشربت وكنت على هذا أياما وعلمنى اسم الله الأعظم ثم غاب عني وبقيت وحدى فبينا أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فإذا شخص آخذ بحجزتى فقال لى سل تعطه فراعنى قوله : فقال لى : لا روع الله عليك أنا أخوك الخضر .

● ومع أبى زرعة الرازى :

أخرج ابن عساكر فى ترجمة أبى زرعة الرازى بسند صحيح(١) إلى أبى زرعة أنه لما كان شابا لقى رجلاً مخصوبا بالحناء، فقال له : لا تغش أبواب الأمراء. قال : ثم لقيته بعد أن كبرت وهو على حالته فقال لى : ألم أنهك عن غشيان أبواب الأمراء ، ثم التفت فلم أره فكأن الأرض انشقت فدخل فيها فخيل لى أنه الخضر فرجعت فلم أزر أميراً ولا غشيت بابه ولا سألته حاجة .

● وقال أبو حيان : وكان بعض شيوخنا فى الحديث وهو عبد الواحد العباسى الحنبلى يعتقد أصحابه فيه أنه يجتمع بالخضر عليه السلام .

● وقال ابن حجر فى الإصابه(٢): وذكر لى الحافظ أبو الفضل العراقى شيخنا أن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى كان يعتقد أن الخضر حى ، قال : فذكرت له ما نقل عن البخارى والحربى وغيرهما

---

(١) ذكره اس حجر فى الاصابه (٤٤٧/١) .

(٢، ٣) الاصابه (٤٤٧/١) .

من إنكار ذلك فغضب وقال : من قال إنه مات غضبت عليه ، قال فقلنا : رجعنا عن اعتقاد موته . اهـ .

● وقال ابن حجر ايضا[1] : وأدركنا بعض من كان يدعى أنه يجتمع بالخضر عليه السلام منهم القاضى علم الدين البساطى الذى ولى قضاء المالكية زمن الظاهر برقوق والله أعلم .

● ويقول العبد الفقير كاتب هذه السطور : ولقد أدركت بحمد الله جملة من أهل العلم والفضل ممن تشرف بالاجتماع بسيدنا الخضر عليه السلام .

وكل المرويات السابقة باختلاف درجاتها تتضافر على إثبات حقيقة وجود الخضر عليه السلام وتشير إلى آثاره المباركة عليه السلام والحق كما صرح النووى رحمة الله تعالى أن حكايات الصالحين من التابعين والصوفية فى الاجتماع به والأخذ عنه فى سائر الأعمار أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وربما كان السبب استغراب البعض لذلك لشدة كثافة مادتهم ودوام التقلب فى عناصر طينتهم وعدم تأهل أرواحهم للانطلاق فى عوالم الملكوت والاعتبار بمشاهد الجبروت وكأن طينتهم التى ارتضوها أرتضت لهم أن يكونوا مع الخوالف فثبطتهم فقيل اقعدوا مع القاعدين .

أما من استعد فقد استمد ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾[1] وبذلك إستنار عنصرهم الترابى بمدد السماء فانكشف لهم مالم ينكشف لغيرهم ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم**

---

(١) العنكبوت/٦٩ .

حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾[1] فانجمعت كلمتهم على اختلاف أماكنهم وأزمانهم على كلمة واحدة ومذاق واحد تحدثوا به فى مشاهدهم ومنازلاتهم ومن جملة هذه المكرمات التى أتحفوا بها اجتماعهم بالخضر عليه السلام واستفادتهم منه ، وإليك طائفة من ذلك فى خصوص إفادته العلمية عليه السلام نختم بها هذا الفصل ولتظهر تلك الروايات عطاء الله عز وجل وفضله على الخضر عليه السلام ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[2] .

١ ــ ذكر السهروردى[3] فى السر المكتوم أن الخضر عليه السلام حدثنا بثلثمائة حديث سمعه من النبى ﷺ شفاها .

٢ ــ وصرح الشيخ علاء الدين[4] استفادة الاحاديث النبوية عنه بلاواسطه .

٣ ــ ومما ذكره العلامة الألوسى[5] عن اجازة له قال : ومما ينبنى على اجتماعه عليه السلام بالكاملين من أهل الله تعالى بعض طرق إجازتنا بالصلاة البشيشية فإنى أرويها من بعض الطرق عن شيخى علاء الدين على أفندى الموصلى عن شيخة ووالده صلاح الدين يوسف أفندى الموصلى عن شيخة خاتمة المرشّين السيد على البندينجى عن نبى الله تعالى الخضر عليه السلام عن الولى الكامل الشيخ عبد السلام بن بشيش قدس سره .

---

(١) فصلت/٥٣ .

(٢) الزمر/٩ .

(٣ ، ٤) روح المعانى . الألوسى (٣٢٣/١٥) .

(٥) روح المعانى ، الألوسى (٣٢٧/١٥) .

٤ ـ وروى أبو نعيم[١] عن أبي الحسن بن مقسم عن أبي محمد الحريري سمعت أبا اسحاق الرسنائي يقول : « **رأيت الخضر فعلمني عشر كلمات واحصاها بيدة : اللهم إنى أسألك الإقبال عليك والاصغاء اليك والفهم عنك والبصيرة فى أمرك والنفاذ فى طاعتك والمواظبة على ارادتك والمبادرة إلى خدمتك وحسن الأدب فى معاملتك والتسليم والتفويض إليك** » .

٥ ـ وأخرج أبو نعيم فى الحلية[٢] فى ترجمه رجاء بن حيوة من تاريخ السراج ثم روايه محمد بن ذكوان عن رجاء بن حيوة قال : إنى لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لى منه منزلة إذ جاء رجل ـ ذكر رجاء من حسن هيئتة ـ فسلم فقال : « **يا رجاء إنك قد ابتليت بهذا الرجل فى قرية الزيغ يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف ، وأعلم يا رجاء أنه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة إنسان ضعيف وهو لا يستطيع رفعها لقى الله يوم القيامة وقد ثبت قدميه للحساب ، وأعلم أنه من كان فى حاجة أخية المسلم كان الله فى حاجته ، واعلم يا رجاء أن من أحب الأعمال إلى الله فرجا أدخلته على مسلم ، ثم فقدة وكان يرى أنه الخضر** » .

٦ ـ وفى الابريز[٣] بروايه الشيخ أحمد بن المبارك يحكى عن بداية الأمر مع شيخة القطب عبد العزيز الدباغ رحمه الله وأن الخضر عليه السلام إلتقى به وهو لا يدرى ولقنه أن يقول كل يوم سبعة الآف

---

(١) الاصابه/٤٤٦ .

(٢) الاصابه/٤٤٤ .

(٣) الابريز/٨ .

مرة : اللهم يارب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ اجمع بيننا وبين سيدنا محمد بن عبد الله فى الدنيا قبل الآخرة . ثم أوصى به سيدنا عمر بن محمد الهوارى خيرا . ثم لما حانت وفاة سيدنا عمر المذكور قال للشيخ عبد العزيز الدباغ : أتدرى من الرجل الذى لقنك الذكر عند السدرة المحررة فقلت لا ياسيدى فقال : هو سيدنا الخضر عليه السلام .

والحق أن مثال هذا كثير لايمكن استقصائه وإنما ذكرنا منه القليل ليتنبة به اللبيب للكثير ، وقد أسمعت إذا ناديت حيا .

ويحق لنا الآن أن نتكلم بما توصّل إليه العلامة الحجة ابن حجر العسقلانى رحمة الله تعالى بعد أن وازن بين الرأى والرأى والآخر واستعرض الكثير من المرويات التى تحقق بقاء الخضر عليه السلام .

قال رحمه الله تعالى(١) : وهذا يقتضى أنهم كانوا جازمين بوجود الخضر فى ذلك الوقت . وقال فى موضع آخر(٢) : ولا يقال لا يستفاد من هذه الأخبار التواتر المعنوى ، لأن التواتر لا يشترط ثقه رجاله ولا عدالتهم ، وإنما العمدة على ورود الخبر بعدد يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب فإن إتفقت ألفاظه فذاك وإن إختلفت فمهما اجتمعت فيه فهو التواتر المعنوى . وهذه الحكاية تجتمع فى أن الخضر حى .

---

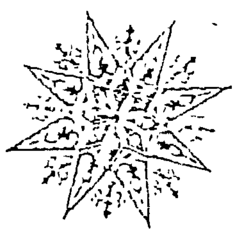
(١) الاصابه (١/٤٤٢) .
(٢) الاصابه (١/٤٣٢) .

وإتماماً للفائدة فى ختام هذا الباب فإنى أهدى هذه الدرة الغالية على لسان الشيخ على النبتبتى الضرير(١) قال رحمه الله تعالى : لا يجتمع الخضر إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية ، ولا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن جمعت فيه ثلاث خصال :

١ ـ أن يكون العبد على سنته فى سائر أحواله .

٢ ـ ألا يكون له حرص على الدنيا .

٣ ـ أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام لا غل ولا غش ولا حسد(٢) وعموما فإن الخضر عليه السلام لا يجتمع بأحد إلا على وجه التعليم له فإنه غنى عن علم العلماء لما معه من العلم اللدنى .



(١) الطبقات الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعرانى (١١٣/٢) والشيخ على النبتيتى كان من أكابر العلماء العالمين والمشايخ الكاملين وكان يجتمع بالخضر عليه السلام .

(٢) هذه مقاله الشيخ العارف سهل بن عبد الله التستَّرى رحمه الله ، أحد أئمة القوم ومن أكابر علمائهم المتكلمين فى علوم الاخلاص والرياضات ، صحب خالد ومحمد بن سوار والتقى بذى النون المصرى بمكة حرسها الله تعالى . ومن كلامه : يلزم الصوفى ثلاثه أشياء حفظ سره وصيانه فقرة وأداء فرضه . وقال من أخلاق الصديقين ألا يحلفو بالله لاصادقين ولا كذبين ولا يغتابون ولا يغتاب عندهم ولا يتسعون بطونهم وإذا وعدوا لم يخلفوا وكان يقول طوبى لمن تعرف بالأولياء فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاته من الطاعات وإن لم يستدرك شفعوا عند الله فيه لأنهم أهل فتوه الطبقات الكبرى ـ الشعرانى (٦٦/١) .

الفصل الثامن

لواقح الانوار القدسية
فى
مفتاح الشخصية الخضرية

قد مرّ علينا نزر يسير من سيرته عليه السلام لكنه أثار دهشتنا وحرك فضولنا ونريد فى هذا الباب بتوفيق من الله تعالى أن نستجمع من روايات مرت علينا دلالات تعيننا على استجلاء ملامح تلك الشخصية الفذة الفريدة ولا ندّعى استقصاءً لذلك لأنه يزج بنا فى لجج بحر لا ساحل له ولا ساعد لنا فيه ولا شراع فعسى المنان أن يتحفنا ببعض درره إنه على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم :

إن تلك الملامح يمكن تصورها فى نوعين من الصفات :

أولا: الملامح الخَلْقيّه تتمثل فى :

أ ـ صباحة وجهه(١) واشرق محياه بنور الإيمان ﴿ **سيماهم فى**

---

(١) ذكر ابن كثير فى البدايه والنهاية (٣٢٧/١) وعزاه إلى الخطابى : أنما سمى الخضر خضراً لحسنه واشراق وجهه .

وجوههم من أثر السجود ﴾(١) حسن الهيئة(٢) ، جسيم صبيح(٣) ، جليل العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر(٤) والحق أن هذه الصفات تلقى فى روع مطالعها نسمات السكينة والقرب والأنس فتتهيأ تلك النفس للأخذ عنه والمتابعة له عليه السلام .

ومن هنا نلحظ التآلف العجيب بين الملامح الخلقيه والصفات الخُلقيه لذلك المعمر العجيب عليه السلام الذى اتفق المؤرخون على قرب نشأته من النشأة الأولى بداءةً من عهد إبراهيم عليه السلام ومرورا بعهد موسى عليه السلام ووصولا لعهد النبى الخاتم ﷺ إلى حيث المنتهى من حياته علبه السلام .

ب ـ توافق الخِلقة :

ولابد أن الذى مرّ بهذا العمر المديد أن تتوافق خلقته وهيئته مع أهل كل زمان فقد كان أهل النشأة الأولى أكمل خلقا وأتم إستواء . وفى الحديث الصحيح « **خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا** »(٥) وبدأت الخلقة فى بنى آدم تتناقص شيئا فشيئا حتى عصرنا هذا كما قال ﷺ فى آخر الحديث السابق « **فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن** »(٦) والتغيير فى طبيعة الخلقه يسير على الله فعله وهو يتوافق مع

---

(١) الفتح/٢٩ .

(٢) مر عليك من رواية رجاء بن حيوة فى باب تعميره أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

(٣) رواه البيهقى وابن أبى الدنيا من حديث التعزية وفيه « فدخل رجل أشهب اللحية حسيم صبيح » .

(٤) رواه الزبير بن بكار فى كتاب النسب من حديث حعفر الصادق رضى الله عنه وكذا الفاكهى فى كتاب مكه بنحوه .

(٥ ، ٦) البخارى . أنبياء ٤١٧/٦ . فتح البارى .

حكمه الله تعالى فى انسجام ذلك العبد مع كآفه المكلفين فى زمانه وعدم شذوذه عنهم بشيء خاصه وأن ذلك العبد عليه السلام طبعه الله عز وجل على الخفاء والسير فى سواء الناس ولا شك أن ظهوره بخلقته الأولى عامل شهرة لم يُرده الله تعالى .

ولذلك شاهد فيما ألقى الله عز وجل شبه عيسى عليه السلام على يهوذا لما اقتضت الحكمة رفع عيسى عليه السلام ﴿ **وما قتلوة وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾[1] والقدرة على التشكل جعلها الله تعالى لبعض خلقه كالملائكة وربما أتى جبريل رسول الله ﷺ فى صورة دحيّة الكلبى كما أن القدرة على التشكل لم تأت إلا من إقدار الحق عز وجل لأنه الفاعل فى الوجود وحده والكل تحت سلطانه وقهره سواء .

جـ ـ محجوب عن الأبصار :

يجب أن نقرر ابتداءً أن خفاءه عليه السلام يمكن أن يحدث بسبب عدم التعرف عليه مع تمام ظهوره للعيون وذلك بسبب مبالغته فى الانخراط فى سواد الناس . كما يمكن أن يتم باحتجابه عن العيون ...

ونعنى بذلك احتجاب الخضر عليه السلام عن العامة من ذوى الأبصار وظهورة للخاصة من أهل البصائر والاستبصار وهو عليه السلام يظهر للبعض منهم لا لمجموعهم وعاده مايكون قدر ظهوره بقدر بلاغة وتوجيهه ونصحه وبمجرد الفراغ من بيانه فكأنه لم يكن ويمكن أن تلمس ذلك مما مر عليك من روايات فى هذا الشأن .

---

(١) النساء/١٥٧ .

وربما تقبل المرء هذه المسألة بقليل من التسليم إلا أنه إذا أنعم النظر فى أدلتها استبان له أحقيتها بالتصديق والقبول واستبان له فى نفس الوقت كثيرا من الغوامض والحكم فى حياة الخضر عليه السلام .

وإن حجبه عن الابصار ليؤكد مراداً للحق فيه وفى اشتغاله بالعلم اللدنى الذى وهبه الله إياه وسيّره الله على مقتضاه «وما فعلته عن أمرى» ولعل فى قصته مع سيدنا موسى عليه السلام ونصبه فى البحث عنه حتى عثر عليه أدل دليل على انفراده عن الخلق واكتفائه بما صرفه فيه الملك الحق وكأنه رجل المهمات الخاصة المستعد دائما لما يلقى إليه من أوامر .

واليك بعضا من أدلة احتجابه عليه السلام نلتقطها من روايات مرت عليك ونورد محل الشاهد فيها :

١ ـ ماروى بإسناد حسن عن رباح بن عبيده[١] عندما رأى الخضر معتمداً على يد عمر بن عبد العزيز : فقال له : وقد رأيته يا رباح ؟ قلت نعم . قال : إنى لأراك رجلا صالحا .

ولو كانت رؤيته أمراً عاديا لما سأله عنها ولما شهد له بالصلاح لمجرد رؤيته .

٢ ـ وأخرج ابن عساكر[٢] فى ترجمة أبى زرعة الرازى بسند صحيح إلى أبى زرعة أنه لما كان شابا لقى رجلا مخضوباً بالحناء فقال له : لا تغش أبواب الأمراء ، قال ثم لقيته بعد أن كبرت وهو على

---

(١) الاصابه (٤٤٦/١) .

(٢) الاصابه (٤٤٧/١) .

حالة فقال لى : ألم أنهك عن غشيان أبواب الأمراء قال : ثم التفت فلم أره ، فكأن الأرض انشقت فدخل فيها فخيل إلى أنه الخضر ، فرجعت فلم أزر أميراً ولا غشيت بابه ولا سألته حاجة . ولعلنا نلحظ فى هذه الرواية الصحيحة اختفاءه بمجرد بلاغة ونصحة .

٣ ـ وذكر ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل(١) عن عبد الله بن بحر أنه روى كلاما فى الزهد عن رجل تراءى له ثم غاب عنه فلم يدر كيف ذهب فكان يرى أنه الخضر .

٤ ـ وما رواة الفاكهى فى كتاب مكة(٢) قد حدثنا الزبير بن بكار حدثنى حمزة بن عتبه حدثنى محمد بن عمران عن جعفر بن محمد ابن على هو الصادق بن الباقر قال : كنت مع أبى بمكة فى ليالى العشر وأبى قائم يصلى فى الحجر فدخل عليه رجل أبيض الرأس واللحية شثن الآراب فجلس إلى جنب أبى فخفف فقال : إنى جئتك يرحمك الله تخبرنى عن أول خلق هذه البيت ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل هذا المغرب قال : إن أول خلق هذا البيت أن الله لما ردّ عليه الملائكة حيث قالوا : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ غضب فطافوا بعرشه فاعتذروا فرضى عنهم وقال إجعلوا لى فى الأرض بيتا يطوف به من عبادى من غضبت عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم ، فقال له الرجل : أى يرحمك الله ما بقى من أهل زمانك أعلم منك ، ثم ولى ، فقال لى أبى أدرك الرجل فردّه على ،

---

(١) الاصابه (٤٤٣/١) .

(٢) الاصابه (٣٣٨/١ ـ ٣٣٩) .

(٣) الاصابه (٣٣٨/١) .

قال فخرجت وأنا أنظر إليه فلما بلغ باب الصفا مُثّلَ فكأنه لم يك شيئا . فأخبرت أبي فقال أتدرى من هذا ؟ قلت : لا قال : هذا الخضر .

ومحل الشاهد فى قوله : مُثِلَ فكأنه لم يك شيئا .

وجاء فى صدر الرواية قوله : كنت مع أبي بمكة فى ليالى العشر . وهذا يوافق ماجاء فى روايه ابن جرير الطبرى فى تاريخة من طريق عبد الله بن شوذب « الخضر من ولد فارس والياس من بنى إسرائيل يلتقيان فى كل عام ، بالموسم » اسناده حسن .

٥ ـ مما مر عليك فى جملة أحاديث التعزيّه(١) فى وفاة النبى ﷺ وقد جاء فى غالب هذه الروايات « جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصة فقال .... وفى آخرة قال على : هل تدرون من هذا ؟ هذا الخضر » .

٦ ـ وقد مر عليك قول الثعلبى فى الخضر عليه السلام : نبى معمر محجوب عن الأبصار .

٧ ـ ماروا البيهقى فى دلائل النبوة(٢) بسند جيد وقد مرّ عليك من روايه الحجاج بن فرافصة فى شأن المتبايعين عند عبد الله بن عمر وكان أحدهما يكثر الحلف فنصحة رجل ... وفى آخرها : ثم مشى حتى وضع إحدى رجلية فى المسجد فما أدرى أرض تحته أم سماء قال : كأنهم كانوا يرون أنه الخضر أو الياس .

---

(١) راجع أحاديث التعزيّه فى الفصل السابق .

(٢) الاصابه (٤٤٢/١) .

وهنا محل الشاهد ، ولعله مما مرّ عليك تستطيع أن تسلم بهذه القضية فى حق الخضر عليه السلام سيما وأنها لا تعجز القدرة الإلهيه بل تتوافق مع الحكمة العليّة لحالة سيدنا الخضر المرضية على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام والتحية .

ثانيا : الصفات الخُلُقيّة :

لما كان الخضر عليه السلام قمة متميزة بين أهل الكمال فإن الحديث عن جوهر صفاته لا يفيه المقال ودرك الحقيقة منها محال لأن المرء يتكلم بحسب ما فتح عليه أو أتيح له فإذا ارتقت أحوال المترجَمُ له فإذا هى فوق الأحوال وعز مقامه فإذا هو من وراء الوراء فأنى للمحجوب عن ذلك أن يبين ؟ وبأى مداد يسطّر حرفاً ؟ وبأى لسان يفصح وهو لم يشم للمقام رائحه ؟!

فإذا أذن الله تعالى لعبده فى الترقى أمدة بأنوار التأييد وأحله فى مقام المعرفة والتمكين فعاين الحقائق واستلذ الرقائق والدقائق فعبرّ بلسان المعرفة ووقف فى ساحة العرفان مظهراً أهليته لهذا الشأن ، بإذن الحنان المنان .

قال العارف بالله تعالى شيخنا محمد الحافظ التجانى(١) رضى الله عنه :

---

(١) هو علّامة الزمان ، الذى لا نظير له فى الأقران ، خزانة الأسرار العرفانية وترجمان الطريقة التجانية غواص بحار المعارف ، لاقتناء الطرائف ، وخائض لجج البحار والزاخرات لصيد جواهر الدر الغاليات . شيخ الشيوخ فى علمى المعقول والمنقول ، من له القدم الراسخ فى الفروع والأصول سيدنا ومولانا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم التجانى الشريف الحسينى رضى الله عنه

فليس يغيب عنى وجه الحق بأية موطن نوراً ونـارا
ودون شهودنا ماتت فحول أذيبوا عندما وصلوا الجوارا
نشير إلى هويتـه برمـز كما أن المهيمن قد أشار
على نور الصفا أصفى صلاة كآل الحق لاح لنا جهارا
وذات سلامه تهمى عليه وأحمد من به الكل استنار

ولمّا عز إدراك ما أدرك الرجال رضى الله عنه استشفعنا بذكر كلام العزيز المتعال حيث نوّه بالخضر عليه السلام قائلا : ﴿ **فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** ﴾(١) فهو عبد مخصوص فاز بفيض مخصوص وتحقق بعلم مخصوص قدوفيَّ بالموعد السابق ، وقام حق القيام بالوعد اللاحق فأجاب الحق قدماً بـ « بلى »(٢) وخلع نعل الكونين ووقف على عرفات المعرفة غائبا عن

ولد رضى الله عنه سنة ١٣١٥ هـ بكفر قورص مركز أشمون منوفية بمصر المحروسة ولقد كان رضى الله عنه جامعا بين أنوار الشريعة وأسرار الطريقة والحقيقة ، جمع بين الحسنيين والشرفين الدينى والطيبى ، محدث الصوفيه وصوفى المحدثين وهو لسانهم القاطع حجج المنكرين بالبراهين أديب الصوفية وصوفى الأدباء فى الإنشا لو أدركه لاستضاء به صبح الأعشى ، وهو فقيه الصوفيه وصوفى الفقهاء فأين لأترابه إلى مبدئه الانتهاء ، ظاهرة مع الخلق وباطنه مع الحق ، كلامه يقرع القلوب قبل الآذان وتنشق له الجلاميد والجدران ، ألّف وأجاد وطاف داعيا إلى الله فى البلاد وعاش حياته رضى الله عنه فى تمام التأسى بجده المصطفى ﷺ حتى لكأنه نسخة محمدية حتى لحق بالرفيق الاعلى عز وجل فى جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨ هـ رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين .

(١) الكهف/٦٥ .

(٢) الاشارة إلى قوله تعالى « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا (بلى) شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » .

نفسه ذاهبا عن غيبته وأذهبه الله عن ذهابه مناديا فانيا لبيك لبيك لا شريك لك لبيك(١) .

فلا عجب أن يُظهر هذا العبد تمام الامتثال ودوام الموافقه والاسترسال فى الكمال لأن الجليل رضى منه ذلك ﴿ **وما فعلته عن أمرى** ﴾(٢) أى لا يسعنى إلا الامتثال لذى الجلال وقد مرَّ عليك بيان ذلك مفصلا تفصيلا .

ومن الصفات التى تدهش المرء هى شدة تعظيمة لأمر الله تعالى والسؤال به وتفانيه فى ذلك غير عابىء بجسامه التضحية التى يبذلها وإليك دليل ذلك فيما رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامه رضى الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال :

« ألا أحدثكم عن الخضر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : بينما هو ذات يوم يمشى فى سوق بنى إسرائيل أبصره رَجُلٌ مكاتب ، فقال : تصدق علىَّ بارك الله فيك . فقال الخضر : آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ، ما عندى شىء أعطيكه .

فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدقت علىّ فإنى نظرت السماحة فى وجهك ورجوت البركة عندك .

فقال الخضر : آمنت بالله ما عندى شىء أعطيكه إلا أن تأخذنى فتبيعنى .

---

(١) العبارة ما بين القوسين للعارف بالله الشيخ المحدث حافظ العصر محمد الحافظ التجانى رحمة الله تعالى من كتابه الحق فى الحق والخلق ص ١٥ .

(٢) الكهف/٨٢ .

فقال المسكين : وهل يستقيم هذا ؟ قال : نعم ، أقول لقد سألتنى بأمر عظيم أما إنى لا أخيبك بوجه ربى بعنى[1] .

« قال فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائه درهم ، فمكث عند المشترى زمانا لا يستعمله فى شىء فقال : إنما إشتريتنى التماس خير عندى فأوصنى بعمل .

قال : أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف . قال : ليس يشق علىّ .

قال : قم فانقُل هذه الحجارة ، وكان لا ينقلها دون سته نفر فى يوم ، فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة فى ساعة .

قال : أحسنت واجملت وأطقت مالم أرك تطيقة .

قال : ثم عرض للرجل سفر فقال : إنى احسبك أمينا فاخلفنى فى أهلى خلافة حسنة .

قال : وأوصنى بعمل . قال : إنى أكره أن أشق عليك .

قال : ليس يشق علىّ . قال : فاضرب من اللبن لبيتى حتى أَقدُمَ عليك .

قال : فمرَّ الرجل لسفره قال فرجع الرجل وقد شيَّد بناءَة .

قال : أسألك بوجه الله ماسببك وما أمرك ؟ .

---

(١) هانت عليه نفسه ولا يرد السائل حباً فى ثواب الله وإكراماً لقسمه بالله .

قال : سألتنى بوجه الله ، ووجه الله أوقعنى فى هذه العبودية .

فقال الخضر : سأخبرك من أنا ، أنا الخضر الذى سمعت به ، سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى شيء أعطيه فسألنى بوجه الله فأمكنته من رقبتى فباعنى ، وأخبرك أنه من سُئِلَ بوجه الله فَرَدَّ سائلة وهو يقدر ، وقف يوم القيامة جلدة ولا لحم له يتقعقع(١) فقال الرجل : بأبى أنت وأمى يا نبى الله أحكم فى أهلى ومالى بما شئت ، أو اختر فأخلى سبيلك .

قال أحب أن تخلّى سبيلى فأعبد ربى ، فخلّى سبيله .

فقال الخضر : الحمد لله الذى أوثقنى فى العبودية ثم نجانى منها » . رواه الطبرانى فى الكبير

قال المنذرى : وحسن بعض مشايخنا اسنادة وفيه بعد والله أعلم

وقال ابن حجر : وسند هذا الحديث حسن لولا عنعنه بقيةً

وإذا إسترجعنا سيرته مع ذى القرنين عليهما السلام وجهاده معه ومشورته له واستحضرنا كيف سيكذب الدجال ويكون أفضل الشهداء عند الله فإننا نستحضر صفات شخصيتين كاملتين أولهما : شخصية الجندى المحارب الباذل نفسه لله وما تتحمله تلك الشخصية من بذل وإيثار وتضحية وفداء وشهامة ومرؤة وجرأة واقدام وتفان واصرار واحتمال ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾(٢) .

---

(١) جسمه حلدة مثل الهيكل فقط وهو يصطرب ويتحرك بصوت مؤلم .

(٢) آل عمران/٢٠٠ ..

وثانيهما : شخصية المستشار المعلم . وما تتحملة تلك الشخصية من وفورة عقل ورجاحة فكر وحسن تقدير ونظر ، ودوام وعى وتحصيل ودوام عطاء وتوجية وتعليم مع كمال الخشية والصفاء ﴿ **إنما يخشى الله من عبادة العلماء** ﴾[1] والرفعة والتواضع ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[2] فالعجب كل العجب من كمال تلك الشخصية التى أعطت بلسانها وفؤادها وبساعدها وبنفسها فكأنه وظَّف كيانه كله فى مرضاة ربه فى كل لحظة من لحظات عمره على نبينا وعليه الصلاة والسلام !!!

---

(١) فاطر/٢٨ .

(٢) الزمر/٩ .

الفصل التاسع

وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب(١)

لا شك أن الخضر عليه السلام وقد آتاه الله عز وجل الحكمة كى يتمكن من أداء دوره الذى كلفه الله تعالى به على خير قيام وشاهد ذلك قوله تعالى ﴿ **آتيناه رحمة من عندنا** ﴾(٢) وقد أعلى الله تعالى من شأن الحكمة وأصحابها فقال ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾(٣) لذا وجب علينا أن نستعرض(٤) بعضا من أقوال الخضر عليه السلام ونصائحه الغالية ونتذوق معا لسان ضراعته لمولاة جل علاه فمن ضراعته عليه السلام وهو معلق بأستار الكعبة .

« يا من لا يشغله شىء عن سمع ....
يا من لا يغلطه السائلون ....

---

(١) ص/٢٠ .

(٢) الكهف/٦٥ .

(٣) البقرة/٢٦٩ .

(٤) سنستعرض أصل الدعاء حلواً من الاسناد لسبق عرض بعضها فى طيات الكتاب فمن أراد الرجوع إلى أصل ذلك فليطالعه فى بابه يجده إن شاء الله تعالى ، والبعض سأذكر مخرجه إن شاء الله تعالى .

يا من لا يتبرم بإلحاح الملحين ....
أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك » .

« فادع بها دبر كل صلاة فوالذى نفسى الخضر بيدة لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحصى الأرض لغفر الله لك أسرع من طرفة عين »(١) .

ومن استغفار سيدنا الخضر عليه السلام :

« اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ...
واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ثم لم أوف لك به ...
واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطنى فيه غيرك ...
واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىّ فاستعنت بها على معصيتك ..
واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته فى ضياء النهار أو سواد الليل فى ملإ أو خلاءِ أو سر أو علانيةٍ يا حليم »(٢) .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا الدنيورى فى المجالسة وأحمد بن حرب والنيسابورى ومحمد بن معاذ جميعهم عن على بن أبى طالب .

(٢) روى بعض هذا الدعاء عن بشر بن الحارث وروى بتمامه عن القطب المكتوم والبرزخ المحمدى المعلوم سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وأرضاة وعنا به . أحزاب وأوراد/١٠٤ . وقد ذكر الخضر عليه السلام فى استغفارة هذا ألوانا من الظلم ودسائس النفس تغيب عن الكثير من حلق الله تعالى .

«اللهم إنى أسألك الأقبال عليك والاصغاء إليك والفهم عنك.. والبصيرة فى أمرك ، والنفاذ فى طاعتك ،والمواظبة على ارادتك ... والمبادرة إلى خدمتك ، وحسن الأدب فى معاملتك ، والتسليم والتفويض إليك ... »(١) .

ومن نصائحه الفريدة ، ودرره النفسية :

ـ « لا أخيبك بوجه ربى »(٢) .

ـ « من سئل بوجه الله فردَّ سائله وهو يقدر ، وقف يوم القيامةِ جلدة ولا لحم له يتقعقع »(٣) .

ـ « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ... إن فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركاً من كل فائت ... فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ... فإن المصاب من حرم الثواب ... »(٤) .

ـ « إتق الله ولا تكثر الحلف فإنه لا يزيد فى رزقك إن حلفت .. ولا ينقص من رزقك إن لم تحلف وآثر الصدق على ما يضرك ... على الكذب فيما ينفعك ... .

---

(١) رواه أبو نعيم عن أبى إسحاق الرسنانى أنه علمه تلك الكلمات .

(٢) قالها للمكاتب من بنى إسرائيل لما سأله حاجه بوجه الله عز وجل . الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير .

(٣) المصدر السابق قالها للذى اشتراة من نبى اسرائيل لما سأله هو الآخر بوحه الله .

(٤) راجع أحاديث تعزيّته عليه السلام فى وفاة النبى ﷺ .

ولا تزيدن فى حديث غيرك ... وتكلم فإذا انقطع علمك فاسكت ... ولا يكن فى قولك فضل على فعلك ... »[١] .

ـ « الدنيا عرض حاضر يأكل منه البُّر الفاجر ، وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيه ملك قادر »[٢] .

ـ « والله ماعلمى وما علمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره فى البحر »[٣] .

ـ « من ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه ... أو توكل عليه فلم يكفه ... أو وثق به فلم يُنْجِه »[٤] .

ـ « من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة إنسان ضعيف وهو لايستطيع رفعها لقى الله يوم القيامة وقد ثبت قدميه للحساب ... من كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجتة ... من أحب الاعمال إلى الله فرجاً أدخلته على مسلم ... »[٥] .

ـ « لاتغش أبواب الأمراء »[٦] .

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة إلى عبد الله بن عمر وابن أبى الدنيا إلى عمر بن محمد بن المنكدر وغيرهما .

(٢) أخرجه أحمد فى كتاب الذهد عن عون بن عبد الله بن عتبه . قلت وكأنه يروى حديث نبيا ﷺ .

(٣) قالها لموسى عليه السلام لما ركبا السفينه وأخذ طائر بمنقاره من البحر . راجع روايه الصحيحين .

(٤) رواه أحمد فى كتاب الزهد عن عون بن عبد الله بن عتبه .

(٥) رواه أبو نعيم فى الحليه فى ترجمه رحاء بن حيوَّه .

(٦) قالها الخضر عليه السلام لأبى زرعة الرازى . أخرجة بن عساكر فى ترجمته له .

- « لا تطلب العلم لتحدث به الناس واطلبه لتعمل به ، وذلك لأن من لم يعمل بعلمه فلا فائدة فى تحديثة بل نفعه يعود إلى غيره .

- كن نفاعاً ولا تكن ضرارا ، كن بشاشا ولا تكن عبوسا غاضبا ...

وإياك واللجاجة ، ولا تمشى فى غير حاجة ...

ولا تضحك من غير عجب ، ولا تعبّر المذنبين خطاياهم بعد الندم ..

وابك على خطيئتك مادمت حيا ، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد ...

واجعل همك فى معادك ولا تخض فيما لا يعنيك ، ولا تأمن لخوف منْ أمنك ولا تيأس من أمن خوّفك ، وتدبر الأمور فى علانيتك ...

ولا تذر الاحسان فى قدرتك »(١) .

ومن دعائة للحفظ والتحصين :

« بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله » .

ما من عبد قالها فى كل يوم إلا أمن من الحرق والسرق وكل شىء يكرهه حتى يمسى وكذلك حين يصبح(٢) .

---

(١) جماع وصية الخضر لسيدنا موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام راجع باب التفسير .

(٢) أخرجه الدارقطنى عن ابن عباس فى الكلمات التى يقولها الخضر والياس عليهما السلام وهما بالموسم .

ـ « قال : لعل هذا الطاغى أخافك ؟ قلت أجل . قال فما يمنعك من السبع ؟ قلت يرحمك الله وما السبع ؟ قال : قل :

سبحان الواحد الذى ليس غيره إله ...
سبحان القديم الذى لا بادىء له ...
سبحان الدائم الذى لا نفاد له ...
سبحان الذى كل يوم هو فى شأن ...
سبحان الذى يحيى ويميت ...
سبحان الذى خلق ما نرى وما لا نرى ...
سبحان الذى علم كل شىء بغير تعليم ... »(١) .

وسبحان من ألهم عبده الحكمة وفصل الخطاب ، ولولا خشية الاطالة لأشبعت الكلام فى بيان هذه التوجيهات والتسبيحات ولأفردت لها تأليفا مستقلا ، ولكن ربما استغنى الأريب بالأصول واتخذها طريقا للوصول ، جعلنا الله جميعا بفضله ومَنّه أهلا لذلك إنه ولىُّ ذلك وصلى الله عليه وسلم على سيد الوجود وعلم الشهود ومعدن الكرم والجود وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

---

(١) رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن أبى عبد الله بن التوأم الرقاشى فيما كان من سليمان بن عبد الملك حيث طلب رجلا من خاصه أصحابه لقتله ففر الرجل وقابل الخضر فعلمة هذه الكلمات .

مراجع البحث

أولاً : كتب التفسير :

١ ـ التفسير الكبير للإمام محمد بن عمر بن الحسين التيمى البكرى الطبرى الرازى

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ت ٦٧١ هـ

٣ ـ تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ت ٧٧٤هـ

٤ ـ روح البيان فى تفسير معانى القرآن للعلامة إسماعيل حقى البروسوى ت ١١٣٧ هـ

٥ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لشهاب الدين محمود الألوسى البغدادى ت ١٢٧٠هـ

٦ ـ زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى ت ٥٩٧ هـ

٧ ـ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لأبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى ت ٨٨٥هـ

٨ ـ حاشية الصاوى على تفسير الجلالين للعلامة أحمد الصاوى المالكى ت ١٢٤١ هـ

٩ ـ التحرير والتنوير للشيخ/ محمدبن الطاهر بن عاشور
١٠ ـ فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب
١١ ـ تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل . محمد جمال الدين القاسمى
١٢ ـ الفواتح الآلهيه والمفاتح الغيبيه للعارف بالله نعمة الله بن محمود النخجوانى
١٣ ـ تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبى السعود محمد بن محمد العمادى ت ٩٥١ هـ
١٤ ـ البحر المحيط لابى حيان الأندلسى ت ٧٥٤ هـ
١٥ ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن ت ٧٢٥ هـ
١٦ ـ الأساس فى التفسير . سعيد حوى .
١٧ ـ سواطع الإلهام لأبى الفيض فيضى .
١٨ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى ت ٧٢٨ هـ
١٩ ـ السراج المنير فى الاعانه على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام الخطيب الشربينى

ثانيا : كتب الحديث :

١ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ
٢ ـ عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعلامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحلبى العينتابى ت ٨٥٥ هـ

٣ ـ إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى لأبى العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى ت ٩٢٣ هـ
٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى وهو محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ت ٦٧٦ هـ
٥ ـ بذل المجهود فى شرح سنن أبى داود للعلامة خليل أحمد السهارنفوى ت ١٣٤٦ هـ
٦ ـ عون المعبود فى شرح سنن أبى داود للعلامة أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى .
٧ ـ تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى للإمام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفورى

ثالثاً : التراجم والفنون الأخرى :

١ ـ النبوة والأنبياء د. محمد على الصابونى
٢ ـ حياة وأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحمد الصباحى عوض الله
٣ ـ كمال الإيمان فى التداوى بالقرآن للمحدث الشريف/ عبد الله محمد الصديق الغمارى
٤ ـ خواطر دينية للمحدث الشريف/ عبد الله محمد الصديق الغمارى
٥ ـ تهذيب الأسماء واللغات للعلامة محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى
٦ ـ الحق فى الحق والخلق للعارف بالله تعالى المحدث/ محمد الحافظ التجانى

٧ ـ المعمرون لأبى حاتم السجستانى

٨ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة . للعلامة/ ابن حجر العسقلانى

٩ ـ تهذيب التهذيب للعلامه/ ابن حجر العسقلانى .

١٠ ـ تذكره الحفاظ للحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى ٧٤٨هـ

١١ ـ الكاشف للحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى

١٢ ـ ميزان الاعتدال للحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى

١٣ ـ لسان الميزان للعلامه ابن حجر العسقلانى

١٤ ـ حليه الأولياء للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهانى ٤٣٠هـ

١٥ ـ طبقات الشافعية لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى ٧٧١هـ

١٦ ـ تقريب التهذيب للعلامه ابن حجر العسقلانى

١٧ ـ الكامل فى التاريخ لابن عدى

١٨ ـ الدرر فى اختصار المغازى والسيَّر للحافظ يوسف بن عبد البر النمرى ٤٦٣هـ

الفهرس

الموضـــوع	الصفحـــة

دار المدينة المنورة ت : ٣٩٠٨٨٤٨

رقم الإيداع

٩٠/٥٩١٠